رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1718) السنة السابعة
الاثنين (8) شباط 2010

8

ذكريات عن 8 شباط
عام 1963

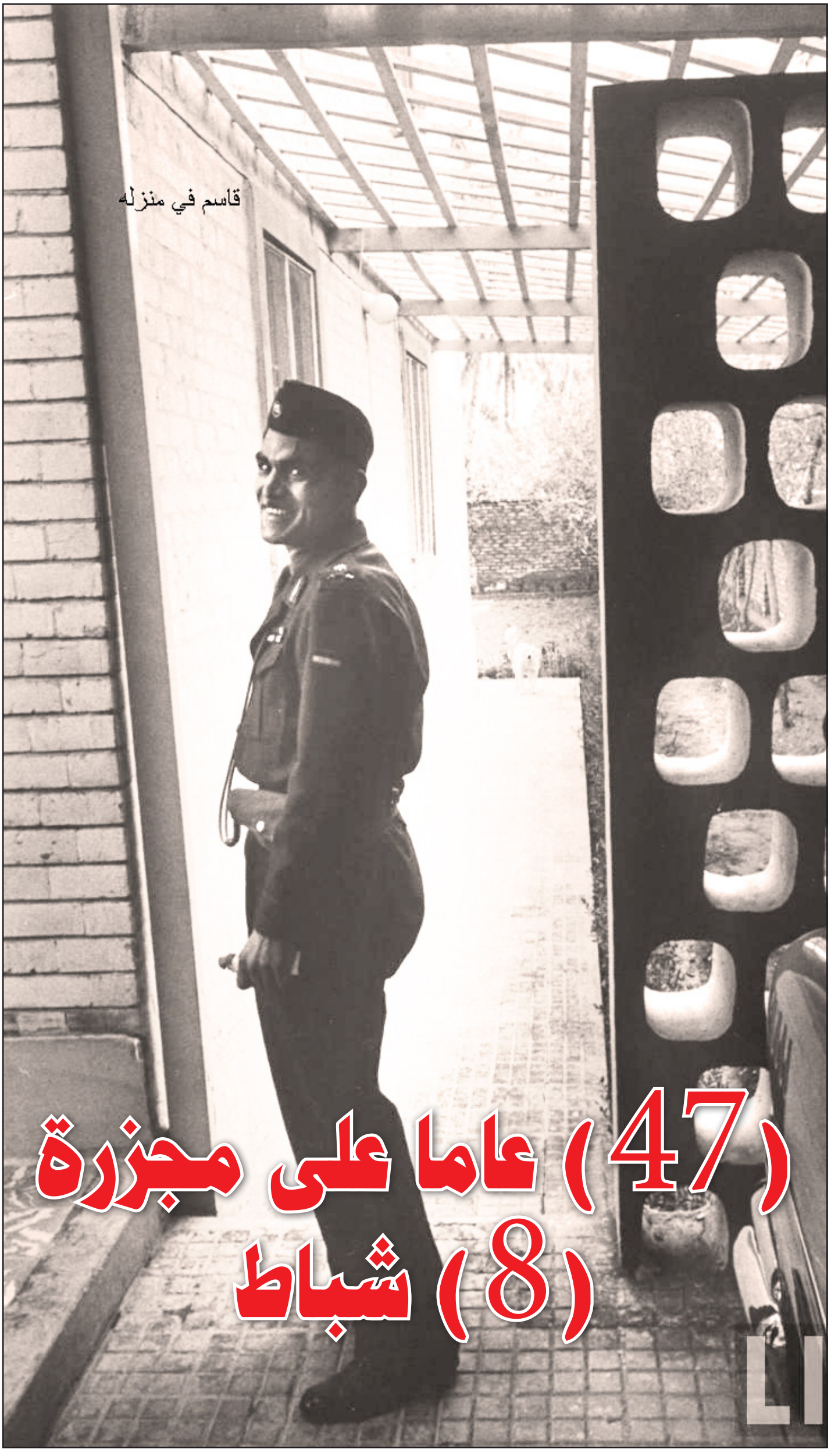

(47) عاما على مجزرة (8) شباط

في آخر مقابلة صحفية لعبد الكريم قاسم لـ اللوموند الفرنسية:

تسلمت قبل بضعة أيام فقط مذكرة تهددني فيها واشنطن بفرض عقوبات ضد العراق اذا تمسكت بمواقفي

جريدة اللوموند 5-2-1963

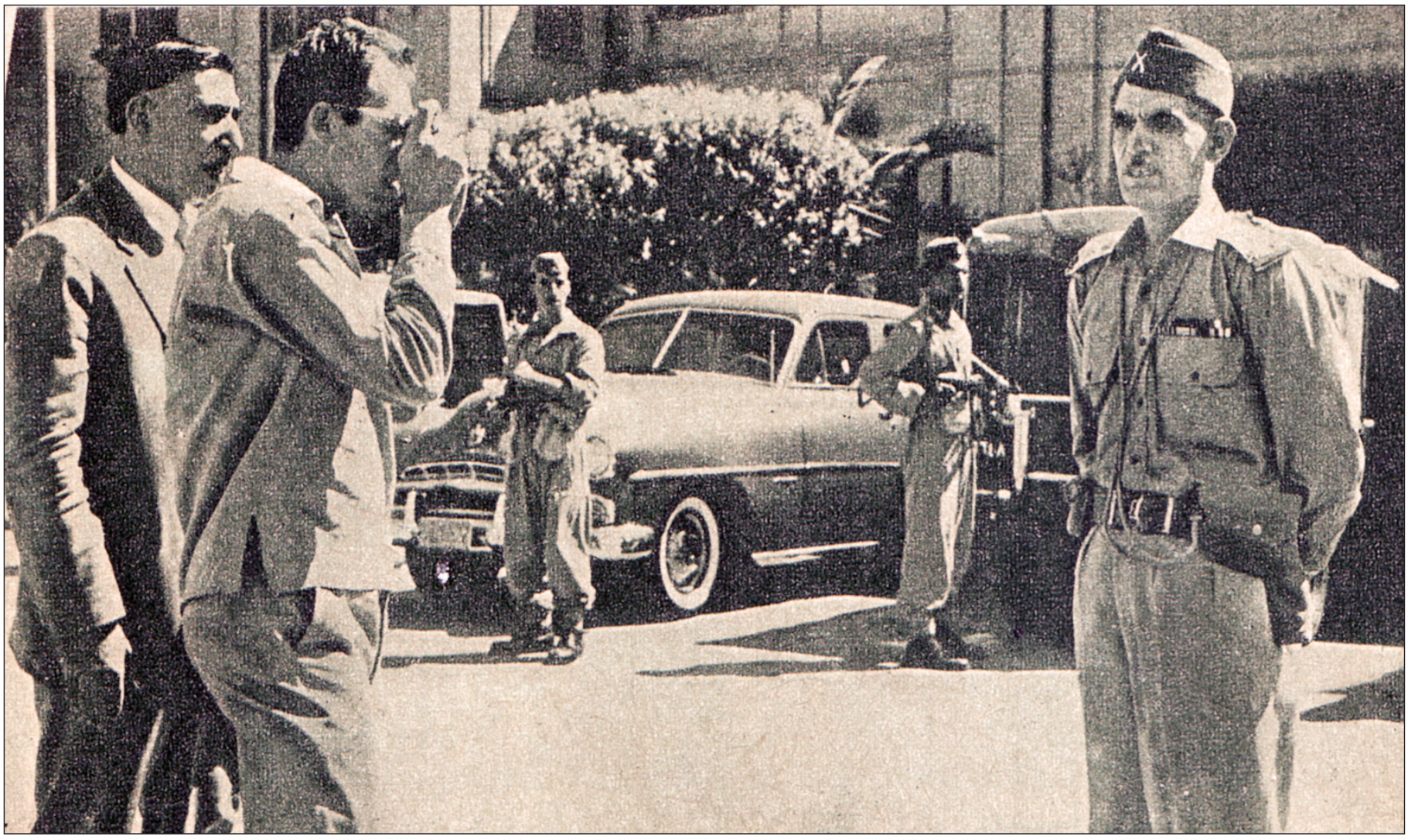

بغداد، ٤ شباط ١٩٦٣، من إدوارد صعب: امضيت بعضاً من الليلة الماضية برفقة الزعيم عبد الكريم قاسم. بدأت مقابلتي معه في التاسعة من مساء الخميس وتواصلت حتى فجر الجمعة. في حوالي الثانية عشرة ليلاً كان على الزعيم قاسم ان يستقبل مبعوثين من محطات الإذاعة والتلفزة الفرنسية، عبّر لهم عن انشراحه لعودة العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا. لا يحب رئيس الحكومة العراقية أجهزة التسجيل الصوتية ولا ضوضاء آلات التصوير. كما يبغض المقابلات التقليدية المستعجلة. اما أجوبته فهي عامة بل عامة جداً احياناً. بدا لي متوتراً، "يبدد توتره" في منديل مسكين يضغط عليه بشكل دائم في راحة يده اليسرى التي تسند كتفاً تعرض للشلل منذ ان اخترقته رصاصات خصومه. فمحاولة الاغتيال التي نجا منها بمعجزة في عام ١٩٦٠ تركت آثاراً عميقة فيه، حيث خرج منها ضعيف البدن. فهذا الرجل الذي أعود لملاقاته للمرة الاولى منذ حزيران ١٩٥٩، لم يفقد شيئاً من حيويته ربما، الا ان ثمة تجاعيد تعتلي الآن جبهة وجهه الاسمر كما ان ملامحه توحي ببعض القلق. قال لي «ان ساعتين او ثلاثاً من النوم تكفيني يومياً، وأنا مستمر هكذا منذ اربع سنوات. فعندما اسمح لنفسي بالنوم اطول من ذلك يداهمني احساس بالذنب. تنتظرني واجبات كثيرة.. بينما عمر الإنسان قصير جداً...»

وسمح لي الزعيم قاسم، بمعية ضابطين من مساعديه وبضعة مراسلين أجانب كانوا في مكتب ملاصق لمكتبه، ان ازور قسم الارشيف العائد لسكرتيره الصحفي الضابط برتبة رئيس سعيد نوري. وهنا طلب الزعيم ان يقدم لنا الشاي، ثم توجه لي منهمكاً في احاديث حول مواضيع لا ترابط بينها احياناً. موضوعاته المفضلة هي الحديث عن حب المقربين والتضامن العالمي وخصوصاً البؤساء، اضافة الى الوسائل الكفيلة بتحرير الفقراء من مشاكلهم.

ويقول الزعيم: «انا نفسي منحدر من وسط فقير جداً، وهو ما اعترف به بكل فخر، كان أبي نجاراً، وقد واجهت أمي الكثير من الضنك في سعيها لكي احصل على تعليمي المدرسي. لذلك أستطيع أن أتصور ماذا تعني المدرسة في حياة الاطفال. وهو ما يفسر لكم لماذا أنا في عجلة لضمان التعليم المدرسي لكل الأطفال الفقراء في بلادي. ذلك لأنني أريد ان أجنبهم المشاق التي واجهتها في طفولتي.»

حتى تلك اللحظة كان حديثه مثيراً للعواطف. الا ان نبرته وأسارير وجهه ما لبثت ان تغيّرت كما لو انه اَخذ بلعب دور شخص اَخر اكثر تلاؤماً معه، حيث راح يبدو صارماً بل مهدداً.. وهو يضيف: «لكن حذار... ان أقدامي ثابتة بمتانة على الارض، كما ان رأفتي لا تذهب ابعد من الحدود المقبولة. انني لا احب التنظير، لكن عندما يتعلق الامر بالمساس بهيبة الدولة سنضرب بسرعة وبشدة. فنحن لا نمزح عندما يتعلق الأمر بالمساس بالمبادئ. ان ما قام به نفر من الطلاب قبل أيام حيث سمحوا لأنفسهم بالاعتصام في مكاتب إدارة جامعة بغداد، هو تجاوز على سلطة الدولة. وأقول بشكل واضح على الدولة، ولا اقول على عبد الكريم قاسم. ولذلك، أرسلت مفرزة عسكرية لاخراجهم منها. الا انني مع ذلك حرصت على ان اجرد الجنود من الأسلحة قبل أن أرسلهم لينصحوا صناع الفوضى بالعودة الى رشدهم.»

الدسائس الانجلو - امريكية

وفجأة توقف الزعيم عبد الكريم قاسم عن الكلام. الا ان شفتيه استمرتا في التحرك، او هكذا تبديتا لي، كما لو انه اخذ يتفوه بكلمات موجهة لغيري. ثم للحظة خيل لي ان ابتسامة منه اوشكت على الارتسام على وجهه، غير انها لم تكن في الواقع سوى حركة لا إرادية من فكه الأعلى. كان ينظر لي نظرة توحي بالتركيز، مما أكد لي ان الرجل متألم جسدياً كما معنوياً. وهنا انتقل الى الحديث عن فرنسا قائلا: «توجد بيننا وبين الشعب الفرنسي روابط لم يمكن لأحد ان يفسدها بما في ذلك حرب الجزائر. لقد قمنا بسببها بقطع علاقاتنا مع الحكومة الفرنسية. وتوجب من اجل ان نعيد علاقاتنا مع فرنسا، تدخل رجال الأدب الذين جاءوا الى بغداد للمشاركة في احتفالات ذكرى الفيلسوف العراقي الكندي. فلقد تأثرت جداً من جانبي بخطابات الاساتذة جاك بيرك وبلاشير. اذ اكتشفت آنئذ الى أي درجة كان شعبنا قريباً من الشعب الفَرنسي»

ويواصل الزعيم عبد الكريم قاسم قائلا: «الا انني لا اقول ذات الشيء حيال الانجليز والامريكيين. فما الذي لم يفعله هؤلاء لكي يستعبدوا العراق ولكي يحكموا قبضتهم على ثرواتنا؟

والادهى من ذلك، انني تسلمت قبل بضعة أيام فقط مذكرة تهددني فيها واشنطن بفرض عقوبات ضد العراق اذا تمسكت بمواقفي. ولا ادري كيف يعطون لأنفسهم الحق باستخدام لغة كهذه؟

«ان الفترة الهاشمية ولّت الى غير رجعة. وهم لا يدركون ان جمهوريتنا لا يمكن قهرها طالما هي نابعة من إرادة الشعب وحده. وفي الواقع، فإن جميع الصعوبات التي نواجهها الآن مع الإمبرياليين بدأت منذ ذلك اليوم الذي اعلنا فيه مطالبتنا بحقوقنا المشروعة في الكويت. لكنكم انظروا إلى هذه الخارطة.. (وهنا عرض عليَّ كراساً بعنوان "الحقيقة حول الكويت" مرفقاً بخارطة للإمارة)، وتمعنوا جيداً في هذه البقعة الصغيرة بالأخضر في جنوب العراق... هذه هي الكويت، الجزء السليب من وطننا. وأخبرونا بربكم: أين هي العناصر التاريخية أو الأيديولوجية والاقتصادية التي تجعل من هذه الإمارة مملكة في هذه البقعة التي

ليس فيها حتى ماء للشرب؟ »

× في هذه الحالة يا سيادة الرئيس، لماذا لم تقدموا على احتلال الكويت... حتى قبل أن يمتلك البريطانيون الوقت الكافي للتدخل؟

– لم أرد القيام بضربة مماثلة لضربة هتلر في تشيكوسلوفاكيا. فأنا لست فاشستياً. كما إنني لا أريد إعطاء أعدائي فرصة اتهامي بتوظيف القوة لاستعادة قطعة مسلوبة من أرض العراق.

× يقال يا فخامة الرئيس، أن السفير البريطاني في بغداد اقترح عليكم إجراء استفتاء في الكويت حول الموضوع، لكنكم رفضتم ذلك؟

– وماذا تتصورون أن أقولو لو أن مثل "صاحبة الجلالة" يقدم إلى الحكومة السعودية اقتراحاً يدعو إلى استفتاء حول عائدية مكة المكرمة؟ ففي هذه الحالة هناك من الهنود أكثر مما فيها من العرب. لكن هل يكفي هذا سبباً لإلحاق مكة بالهند؟ فلا ينبغي أن تنعجبوا من اقتراحكم بالنسبة للكويت. فلقد سبقوه باستخدام أعداد كبيرة من النيوزلنديين والروديسيين والباكستانيين والإيرانيين لكي يقيموا فيها. كما قاموا بـ"شراء" العائلة المالكة، وعملوا من الكويت دولة مستقلة. لكن هذا ليس كافياً برغم ذلك. فلا يكفي وجود بئر نفط لتقوم دولة.

× هل هناك مؤامرات أخرى تهدد نظامكم؟

– هناك المؤامرة الاخطر. وهذه ليست موجهة ضد العراق ولا ضد سوريا إنما ضد فلسطين بشكل خاص. فهناك مؤشرات في الأجواء توحي بوجود مؤامرة لتصفية المشكلة الفلسطينية تقودها الولايات المتحدة الامريكية. وهم يدركون ان النجاح في تنفيذها يقتضي التخلص قبل اي شيء من الحكومات التقدمية المناهضة لاسرائيل. والامريكيون يتمتعون سلفاً بتواطؤ عدد من الدول العربية، ولم يبق عليهم سوى خنق سوريا والعراق. لذا فهم يخلقون لنا شتى الصعوبات داخل البلد بهدف اشغالنا بعيداً عن الاهتمام بالمشكلة الفلسطينية. وفيما يتعلق بسوريا، فانني اقولها علناً بأننا سنكون الى جانبها مع اول اشارة. فهم يسعون، كما في العراق، الى تلغيم البلاد من الداخل. إنني اعرف اسماء العناصر المخربة كافة، الا ان الامر لا يعود لي بصفتي رئيساً للحكومة إصدار الامر باعتقالهم انما اترك الاجهزة المسؤولة في الدولة كي تقوم بواجباتها الملقاة على عاتقها. أيضاً ان من المفيد ان نمنح لكل فرد منهم فرصة العودة الى رشده. فما اعتقده أحياناً مع نفسي هو انه لابد ان يأتي ذلك اليوم الذي سيعودون فيه الى جادة الصواب. انني افضل العفو عند المقدرة، لكن يجب عدم استغلال ذلك. وكما تعلمون فان عليّ منع عناصر التخريب من التقاط أنفاسها. وبرغم هذا كله لا تتوقف اذاعات وصحف بعض الدول العربية من اتهامي بالاختلال وحتى الجنون الحاد وبالدكتاتورية وبغيرها من الاتهامات.. لكننا لن نترك لهذه الاتهامات أن تستفزنا سيما نحن نعرف بأنها تصدر عن أدوات في خدمة الاستعمار. فهذا الأخير أوجد له بعض الوسائل يأمل عبرها ان يتسلل الى صفوفنا.

أتحدى ان يُذكر لي مثال واحد عن تعهد قطعته ولم التزم به. ففي يوم من الايام، وكان ذلك في 11 حزيران 1959 خلال مؤتمر الشبيبة الديمقراطية الذي انعقد في بغداد، قطعت وعداً ببناء «مدينة الثورة». آنئذ اعتبرني كثيرون مجرد حالم وطوباوي. لكن الجميع اليوم بإمكانهم الذهاب إلى هذه المدينة اللطيفة التي يعيش فيها ثلاثمئة وخمسون الفاً من السكان جميعهم من ذوي الدخل المحدود.

× سيادة الرئيس، مضت سنتان منذ وعدتم العراقيين بدستور دائم وبانتخابات وبمجلس تشريعي. أين وصلتم في إنجاز كل هذه المشاريع؟

– أتحدى ان يُذكر لي مثال واحد عن تعهد قطعته ولم التزم به. ففي يوم من الايام، وكان ذلك في ١١ حزيران ١٩٥٩ خلال مؤتمر الشبيبة الديمقراطية الذي انعقد في بغداد، قطعت وعداً ببناء «مدينة الثورة». آنئذ اعتبرني كثيرون مجرد حالم وطوباوي. لكن الجميع اليوم بإمكانهم الذهاب إلى هذه المدينة اللطيفة التي يعيش فيها ثلاثمئة وخمسون الفاً من السكان جميعهم من ذوي الدخل المحدود. وقريباً ستكون لها حدائق عامة وشوارع مبلطة ومسبح كبير. وفيها الآن عدد من المدارس ومستشفى ومستوصفات بنيت بالتزامن مع بناء المنازل. وهذا ليس كل شيء. هناك ايضاً سد دربندخان الاروائي الذي كلف الدولة ٢٦ مليون دينار واترك الكلام عن الطرق والساحات والنصب والعمران والمصانع الحديثة والاصلاح الزراعي وغيرها. وكل هذا بهدف اشاعة الرفاه الاجتماعي. اننا لا نعادي الاغنياء ما داموا مستعدين لمعاونتنا في سعينا الهادف الى رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي للفقراء. اما فيما يخص الدستور، فانني اتعهد الآن علناً بان لجنة من الخبراء ستشكل في نهاية شهر شباط ١٩٦٣، لتكلف بإعداد مشروعي دستور دائم وقانون انتخابي جديد. وسنضع تحت تصرفها من اجل ذلك، نصوص عدد من الدساتير الأجنبية ومنها النصوص السويسرية والالمانية والفرنسية والمصرية والسورية... وفي كل الأحوال، انني اتعهد علناً أمام الشعب بان يكون عام ١٩٦٣ هذا عام ولادة الجمعية الوطنية العراقية .

× × ×

صار الوقت متأخراً حيث كانت عقارب الساعة تشير الى الثانية فجراً. إلا إن الزعيم قاسم بدا كمن يشعر بحاجة قوية للتكلم عن منجزات ثورته، وعنها تحدث طويلاً. انه يرفض تهمة الدكتاتورية التي توجه له ويشعر بسرور أن يرى من يستمع له وقد اقتنع بما يقوله. على أية حال، بإمكاننا ان نتصور ما نشاء عن هذا الرجل الذي اعلنت الصحافة الدولية والعربية مراراً طوال السنوات الأربع الماضية عن سقوطه الوشيك بينما هو عرف أن يصمد في موقعه. بيد ان الزعيم قاسم لم يعد ثورياً. فلقد وجدته واقعياً مؤمناً برسالته ويتمتع بطريقة تفكير راجحة واكثر تطوراً من تلك التي يتمتع بها كثير من زعماء الدول العربية سواء الذين ينظرون له نظرة حقد او نظرة شفقة. كانت الساعة قد بلغت الرابعة وخمساً وأربعين دقيقة من ذلك الفجر الذي بدأ يطل علينا. عندئذ وجدت ان الأوان قد آن كي انصرف. استأذنت الرجل، فمدّ لي يده مصافحاً وهو يقول: سلّم لي على عمال المطبعة في الجريدة».

النص التاريخي لآخر خطاب للزعيم عبد الكريم قاسم

وقد وضعت النقاط (...) للاشارة الى كلمات غير مسموعة واستخدم (+) للاشارة الى صوت القصف المدفعي والجوي.

"بيان من الزعيم عبد الكريم قاسم الى ابناء الشعب الكرام والى ابناء الجيش المظفر. إن اذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والمستبدين (+) الذين يحركهم الاستعمار لتحطيم جمهوريتنا ... الذين يحاربوننا بحركات طائشة للنيل من جمهوريتنا ولتحطيم كيانها (+). ان الجمهورية العراقية الخالدة، وليدة ثورة ١٤ تموز لا تُقهر ... وإنها تسحق الاستعمار، وتسحق كل عميل خائن. انما نحن نعمل في سبيل الشعب (+) وفي سبيل الفقراء بصورة خاصة، وتقوية كيان البلاد. فنحن لا نُقهر، وإن الله معنا.

أبناء الجيش المظفر، والقطعات والوحدات والكتائب والافراد. أيها الجنود الغيارى، مزقوا الخونة، اقتلوهم، اسحقوهم. إنهم يتآمرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب (+) ثورتنا. هذه الثورة التي حطمت (+) الاستعمار وانطلقت في طريق الحرية والنصر، وانما النصر من عند الله، وإن الله معنا. كونوا اشداء، اسحقوا الخونة والظالمين. هاجموهم في كل منعطف، وفي كل زاوية. إنهم خونة ... إنهم أذناب الاستعمار، والله ينصرنا على الاستعما واذنابه (+) واعوانه."

توقف الزعيم لفترة ثم استأنف وسط دوي القصف المدفعي والجوي.

"(+) السلام عليكم أبناء الجيش، أيها الضباط (+) أيها الجنود، أيها الضباط الصف الاشاوس، أيها العمال (+) الغيارى (+) إن الاستعمار يحاول ان يُسخِّر نفر (+) من أذنابه للقضاء على جمهوريتنا (+) لكنه (+) ... بتصميمنا وبتصميم الشعب المظفر (+) .... فإننا نحن جنود وشعب ١٤ تموز الخالد (+) الذي وجَّه الضربات الخاطفة الى العهد المباد (+) رغم .... (+) .... (+) رغم الاستعمار، وحرر امتنا واستردَّ لها كرامتها ... فإننا هذا اليوم المجيد .... لسحق الخونة والغادرين.

أبناءَ الشعب، أبناءَ الجيش المظفر، إن النصر امامنا واننا صممنا على سحق الاستعمار فلا .... الى الخونة والغادرين، فإن الله معكم. وسوف .... الظالمون والغادرون والسفاكون وأذناب الاستعمار. سوف .... عندما توجه لهم الضربات الخاطفة. وقد باشرنا بتوجيهها إليهم. والله ينصركم وينصر جمهورينا.

أبناءَ الجيش الغيارى، أيها الجنود (+) أيها الضباط، إسحقوا الخونة والغادرين الذين تآمروا على جمهوريتنا. إسحقوهم، مزقوهم ... إننا الزعيم عبد الكريم قاسم .... وإننا أقوى وأمضى وأشدّ عزماً وكفاحاً في سبيل الفقراء، والنصر للشعب العراقي المظفر، والنصر لكم أيها الغيارى."

انقلاب 8 شباط البداية الحقيقية لخراب العراق

د.سلمان شمسة

حققت ثورة الرابع عشر من تموز أمل الشعب العراقي وقواه الوطنية بالقضاء على الملكية والتحرر من الاستعمار البريطاني وحلف بغداد، كما حققت الكثير من المنجزات لشعبنا، ليس آخرها القيام بخطوات وإجراءات ديمقراطية هامة كانت تمهيدا لقيام نظام ديمقراطي له قصب السبق على صعيد المنطقة، لو قدر لتلك الخطوات أن تترسخ وتتدعم بخطوات تكميلية أكبر وأهم من تلك التي تم تحقيقها.

إن جبهة الاتحاد الوطني التي منحت حركة الضباط الأحرار صفة الثورة بسبب تحشيدها الشارع وتعبئتها الجماهير من أجل دعم الجيش والوقوف بجانبه لم تستمر في دعمها ذاك، إذ سرعان ما دبت الخلافات بين الأحزاب المكونة لها، لتفقد الثورة واحدا من أهم عناصر قوتها واستمراريتها وتصاعدها.

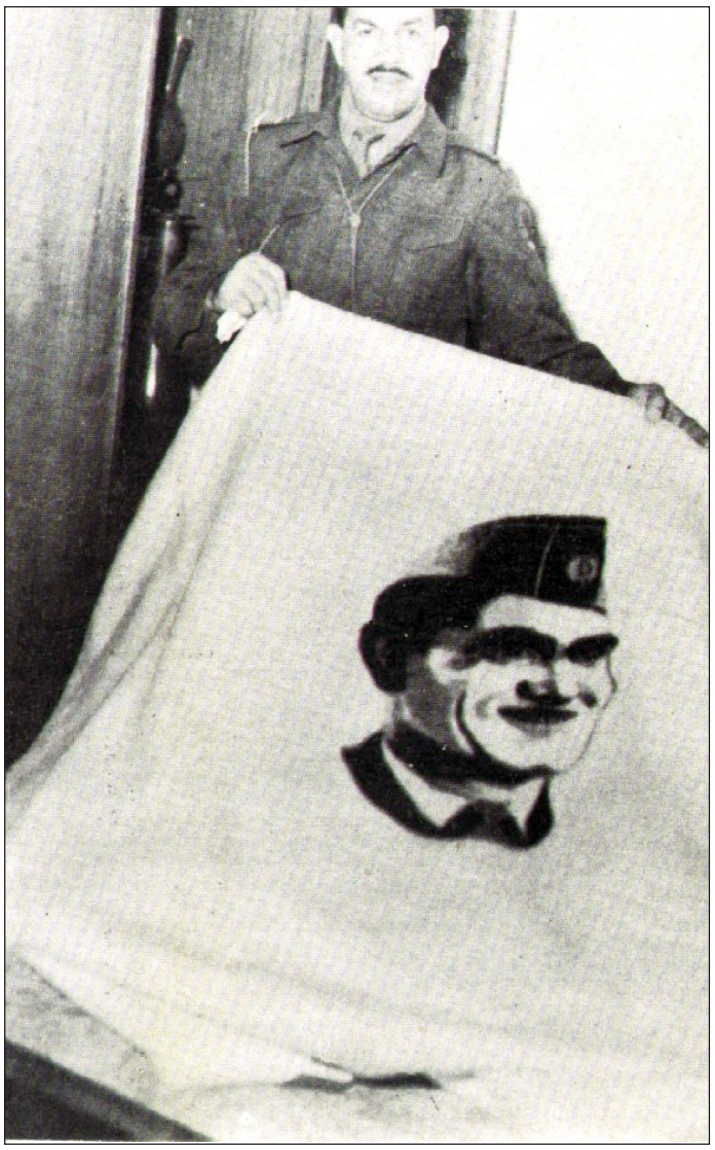

لقد بدأ الخلاف بين التيار القومي والحزب الشيوعي على الشعار الذي رفعه حزب البعث والداعي إلى الوحدة الإندماجية الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة، وهذا مما دعا الحزب الشيوعي (الذي كان يتمتع بمد جماهيري كاسح في ذلك الوقت) إلى رفع شعار الاتحاد الفيدرالي بمواجهة شعار الوحدة الفورية. والملاحظ أن ذلك الخلاف لم يبق في حدود الصراع الفري والعمل على كسب الجماهير إلى هذا الشعار أو ذاك بالطرق الديمقراطية، بل أدى إلى الاحتراب والتصعيد بين التيارين القومي والشيوعي. فالتيار القومي، وبالذات حزب البعث غادر ركب الثورة وأنتقل للتخطيط من أجل إنتزاع السلطة من أيدي حكومة عبد الكريم قاسم لبناء دولة الوحدة على أنقاضها ومهما كان الثمن. أما الحزب الشيوعي فقد وقف موقفا تراجيديا لا يحسد عليه بين ضرورة الدفاع عن مكتسبات الجمهورية من ناحية وعملية الشد والجذب مع حكومة قاسم بسبب اكتساحه الشارع وتآلب القوى المختلفة من قومية ودينية وغيرها عليه من ناحية أخرى.

بالوقت الذي كانت الضغوط والمؤامرات الخارجية والداخلية تشتد على ثورة تموز لاجهاضها وحرفها عن مسيرتها. وقد وجه الزعيم عبد الكريم قاسم وفي مناسبات عديدة نداءات صادقة للقوى الوطنية حينئذ لنبذ خلافاتها والعمل من أجل تحقيق أهداف الثورة ومواجهة أعدائها والمتربصين بها، ولو كانت تلك القوى قد استجابت لنداءات قاسم وعملت على عقلنة خلافاتها وحلها بالحوار وبالطرق السلمية لساهمت في إنقاذ الثورة وإنجازاتها من الغرق في بحر الدماء الذي غرقت فيه. وأخيرا فإن ثورة تموز لم تنحرف ليصحح نهجها بحركة تصحيحية أو غيرها، ولا هي حادت عن أهدافها ولا عن وفائها للفقراء والمعدمين الذين جاءت من أجلهم لتناصب ذلك العداء السافر الذي أدى بالنهاية إلى نحرها، ولكن تكالب الأعداء الخارجيين والداخليين وخوفهم من إنجازات أكبر وأعمق لصالح الشعب العراقي ودور أوضح وأكثر تأثيرا للثورة التي مست بالصميم مصالح المستعمر ومخططاته المشبوهة على صعيد المنطقة جعلهم يستنفرون كل قواهم من أجل نحر الثورة وإعدام رمزها وزعيمها بأبشع صورة ودون منحه حتى حق الدفاع عن نفسه.

يمثل إنقلاب ٨ شباط ليس فقط إجهاض الثورة التي كانت حلم الملايين من العراقيين، بل يمثل البداية الحقيقية للخراب الذي سيعم العراق ممثلا بالإستبداد والعنف والدم الذي سوف يهدر غزيرا من الشيوعيين وأصدقائهم أولا ثم من القوى الأخرى كردية ودينية وغيرها فيما بعد، وسيبقى القمع والإرهاب هما الصفتان الملازمتان لنظام البعث على مدى عشرات السنين، وليدخل العراق النفق المظلم بسبب سياستهم التي دمرت وهدرت طاقات البلاد وأضاعت تلك الإنجازات الواعدة التي حققتها ثورة تموز والتي كان يمكن تطويرها وتعميقها والسير بها قدما حتى تحقيق كامل أهداف الثورة لو ارتفعت القوى السياسية الفاعلة إلى مستوى مسؤولياتها وحلت خلافاتها التي كان يمكن أن توجد لها الحلول، وما كان ليحدث ذلك الإنقلاب المشؤوم لو لا التفاعل والتنسيق بين العدو الخارجي المتضرر من الثورة وما حققته، ومن جاءوا بقطاره ليقترفوا أعظم جريمة بحق شعبهم، وما انتهت جرائمهم يوما بل طالت الجميع دون إستثناء وعلى جميع الصعد.

السؤال الثالث مركب وطريقة طرحه بهذه الصورة لا تساعد على الإجابة المختصرة كما هو مطلوب. فالسؤال ذو شقين أساسيين، الشق الأول يخص العلاقة بين حزب البعث من ناحية والأحزاب والقوى السياسية الأخرى من ناحية أخرى. في حين يمتد إلى العلاقة بين القوى السياسية مع بعضها، وهذا الأمر هو الذي يستحق الانتباه والتركيز أكثر. أما الشق الثاني فهو ما يتعلق بكيفية ترميم البيت العراقي وهل يتم ذلك مع السلطة الحالية أم من دونها؟.

شهدت الساحة العراقية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ إرهاصات وانجازات كثيرة لا مجال للتطرق إليها الآن، كما شهدت صراعا فكريا وجماهيريا بين الحزب الشيوعي الذي أكتسح الساحة حينئذ وكذلك التيار القومي مدعوما من الخارج وممثلا بحزب البعث. وكان مجال الصراع الشارع والنقابات وأروقة الكليات، إلا أن ذلك الصراع تحول بعد إنقلاب شباط ١٩٦٣ إلى حمام دم استشهد فيه خيرة قادة وكوادر الحزب الشيوعي والكثير من رفاقه وأصدقائه، كما ضاقت السجون والمعتقلات بالشيوعيين وأصدقائهم، فكان نظام الحكم ذاك ديكتاتوريا قمعيا دمويا. واستمر ذلك النهج بعد إنقلاب ١٩٦٨ مع فارق أن المستهدفين كانوا كل القوى السياسية إضافة إلى الشيوعيين مثل البعثيين اليساريين والقوميين والإسلاميين والأكراد، فزهقت أرواح عشرات الآلاف، بل مئات الآلاف من شباب العراق واقترفت جرائم نوعية لم يقترفها نظام أو حاكم من قبل على الإطلاق مثل محاربة أبناء الشعب الكردي من المناوئين بالأسلحة الكيمياوية ولمرات عديدة. ومن ذلك نستنتج أن العلاقة بين حزب البعث والقوى السياسية العراقية المختلفة. تجلت وعلى مدى عشرات السنين بشكل اضطهاد وقتل واستباحة وتنكيل (هذا إذا استثنينا فترة الجبهة الوطنية بين البعثيين والشيوعيين، والتي كانت أغراضها وأهدافها متباعدة بين الطرفين)، ولم تكن على شكل صراع متكافئ. فحزب البعث كانت بيده السلطة والجيش وإيرادات النفط والأجهزة الأمنية والمخابراتية المسخرة لمراقبة ومحاربة الأعداء الداخليين، في حين كانت الأحزاب والقوى السياسية عزلاء إلا من جماهيرها وأنصارها ومن دون ظهير مباشر.

أما الجانب الأهم والأكثر حيوية في الوقت الراهن، فهي العلاقة بين القوى السياسية (التي تزعزعت الثقة بينها) ولكن يجمعها قاسم مشترك أعظم هو معاداة النظام والعمل على إسقاطه أو إنهائه، وهنا تكمن المهمة الأصعب والأجدر بتكريس الجهد والوقت لتهيئة المستلزمات الضرورية لإعادة ما تزعزع من ثقة، من أجل تجميع القوى وتوحيد الكلمة في مواجهة نظام ظالم وشرير كالنظام العراقي، الذي فاق كل التصورات برعونته ووحشيته واستهانته بالقيم والأعراف الإنسانية والأخلاقية. ولكن رغم وضوح الهدف وعدالة القضية في العمل على إسقاط النظام، إلا أن المؤسف هو ما نشهده من تشرذم وتنافر بين قوى المعارضة العراقية التي انقسمت على بعضها ليستظل بعضها بالمظلة الأمريكية ويعول عليها في إسقاط النظام، وحتى القوى السياسية البعيدة عن تأثيرات وضغوط أمريكا لم ترتق العلاقة فيما بينها إلى مستوى الحدث، بل هي ورغم المهام الملقاة على عاتقها ما زالت متباعدة، وأحيانا متنافرة مع علم الجميع أن ذلك يصب في مصلحة النظام ويطيل من عمره. وأود أن أشير إلى أن الديمقراطية واعتماد آلياتها المعروفة بالعمل والتعود على ممارساتها بشكل واع من الأهمية بمكان بالنسبة لكافة الأحزاب والقوى السياسية المناوئة للنظام، علما أن مهمة تثقيف وتعويد الشعب العراقي على ممارسة واعية وحقيقية للديمقراطية، مهمة غاية في الصعوبة انطلاقا من الإرث البعيد عن أجواء الديمقراطية الذي عاشه خلال مراحل كاملة من أنظمة الحكم استغرقت كل تاريخه الحديث، وما يزال يعيش في ظل أعتى ديكتاتورية في المنطقة. كما أن التشويهات الكبيرة التي أحدثها النظام على الشخصية العراقية بصورة عامة في الأربعة عقود الأخيرة عبر سياسة الترغيب والترهيب وشراء الذمم والقوانين الأكثر تعسفية، قد عقدت وشوهت كثيرا ملامح هذه الشخصية لتصبح أكثر انغلاقا بسبب الاضطهاد والخوف من شرطي الأمن الذي أدخله النظام إلى كل بيت عراقي تقريبا. وبما أن الديمقراطية عملية تراكمية وتتطلب وعيا اجتماعيا متطورا واستعدادا لتقبل الرأي الآخر، وامتلاك ثقافة ديمقراطية حقيقية لا شكلية، فإن مهمة الأحزاب والشخصيات الوطنية على مختلف مشاربها وانتماءاتها في التهيؤ والعمل الجادين من أجل إرساء أجواء تمهد للديمقراطية في عراق قادم يتنفس هواءً نقيا، أن تبدأ الأحزاب والشخصيات بنفسها ومن داخلها في ممارسة الديمقراطية وتعويد المزيد من أعضائها وأبناء شعبنا عليها.

يمثل إنقلاب 8 شباط ليس فقط إجهاض الثورة التي كانت حلم الملايين من العراقيين، بل يمثل البداية الحقيقية للخراب الذي سيعم العراق ممثلا بالإستبداد والعنف والدم الذي سوف يهدر غزيرا من الشيوعيين وأصدقائهم أولا ثم من القوى الأخرى كردية ودينية وغيرها فيما بعد

انقلاب شباط الأسود..

أول تقرير صحفي تناقلته وكالات الانباء العالمية

"سقط عبد الكريم قاسم بشجاعة، فقد رفض ان تعصب عيناه، الا انه كان الوحيد الذي كبلت يداه خلف الظهر بين الرجال الذين اعدموا معه. وكانت الكلمات الاخيرة التي اطلقها قبل اعدامه: (انكم تستطيعون قتلي، غير ان اسمي سيظل خالداً في تاريخ الشعب العراقي)».

جريدة «لوموند» - في ١٤ شباط ١٩٦٣/ من جورج هربوز، المبعوث الخاص لوكالة الانباء الفرنسية في بغداد

بغداد/ ١٣/٢/١٩٦٣:

العاصمة العراقية هادئة تماماً. ونلاحظ اعداداً كبيرة من المسلحين المدنيين يمخرون الشوارع. انهم اعضاء (الحرس القومي)، الذين يحملون اشرطة نسيجية خضراً على سواعدهم وينسقون مع رجال الشرطة.

وهم يتحركون تحت اشراف من الجيش بشكل واسع، الا ان مهمتهم الاساسية هي قنص الشيوعيين، وهي عملية بوشرت حال توقف المقاومة في وزارة الدفاع. هناك عدد من الشيوعيين ظل حتى يوم الثلاثاء ١٢ شباط، يواصل خوض معارك صغيرة في عدد من الاحياء ضد الحرس القومي.

في اللحظة الحالية تستعيد بغداد حركة شبه عادية، والاجواء بدأت تتجه نحو الهدوء. اذ يبدو ان يوم السبت ٩ شباط كان، بإقرار الجميع، اليوم الاكثر رعباً. لذا فقد حبس الناس انفسهم في المنازل، حيث حصل قطع في الكهرباء، كما ان اصوات رشقات الرشاشات كانت تسمع في اركان الشوارع. وبينما كانت الاوامر والاوامر المضادة تذاع من الراديو، كان شبان من حملة الاشرطة الخضر على السواعد يمارسون ما يشبه لعبة الحروب الصغيرة مقيمين دكتاتورياتهم في كل حيّ. التجول لا يتم الا بتصريح خاص يرخص به، الا ان اولئك الذين بحاجة ماسة له لا يعرفون لمن يتوجهون بالطلب لاستحصاله. وحتى عندما ينجحون في الحصول على مثل تلك التصريحات فانهم لا يجدون من يعترف لهم بصفتها الرسمية.

وكمثال على حملات (التطهير) الواسعة ما حصل في وزارة مهمة كوزارة النفط، حيث لم يسلم فيها سوى اثنين من الموظفين بينما القي القبض على جميع العاملين في الوزارة حتى صغار السن منهم وارسلوا الى المعتقلات. ففي الاوساط الرسمية للنظام الجديد نسمعهم يقولون بشكل دائم: "لدينا قوائم باسماء جميع الشيوعيين ولن نترك أحداً منهم يفلت من يدنا". والقلق كبير جداً في اوساط المسيحيين الكلدان الذين، كما يقال، اصطفوا مع الشيوعيين.

ان الاضرار المادية اقل مما تم تخيله، اذ كانت وزارة الدفاع مركز الهجمات الجوية، ومن الواضح بداهة انها تعرضت للقصف بكثير من القذائف والتي بمعظمها لم تكن صواريخ انما قنابل صغيرة العيار، وان كان كلام راديو بغداد خلال الساعات الاولى بعد انقلاب يوم الجمعة المصادف ٨ شباط، الذي أكّد قائلاً (لقد سحقت الدكتاتورية الخائنة كالجرذ تحت انقاض وزارة الدفاع)، اوحى بالاعتقاد بان الوزارة تعرضت لتدمير شبه كلّي. عموماً، وبرغم آثار المعارك فيها، ليس لبغداد هيئة مدينة مهدمة تحت القصف بما في ذلك احياؤها الاكثر تعرضاً للاصابات.

قتل قائد القوة الجوية برشقة من رصاص رشاش

اما عن كيفية حصول الانقلاب الذي قامت به مجموعة من العسكريين المتمردين في يوم الجمعة الذي يصادف يوم الرابع عشر من شهر رمضان، فان التفاصيل اصبحت معروفة الآن لدينا.

لم يكن الزعيم عبد الكريم قاسم موجوداً في وزارة الدفاع، التي هي مقر اقامته الاعتيادي، في اللحظة التي قامت فيها طائرات قاعدة الحبانية بمباشرة هجماتها صبيحة يوم٨ شباط. فيوم الجمعة هذا كان كغيره يوم التعطيل الاسبوعي للمؤسسات الرسمية والخاصة. فقد كان السكان قد سهروا حتى وقت متأخر عشيته، وكانت الشوارع خالية الا من عدد قليل من المارة. كما ذكرت الاذاعة العراقية ان الزعيم عبد الكريم قاسم قام في ليلة الخميس على الجمعة بواحدة من جولاته التفقدية التي اعتاد القيام بها الى عدد من احياء العاصمة. وفي الساعة الثامنة والنصف توقف البث الاذاعي فجأة. ثم تبين ان فريقاً صغيراً من العسكريين استطاع الاستيلاء على محطة الارسال الاذاعي الواقعة في منطقة تبعد قرابة خمسة كيلومترات شمال شرقي بغداد. وقد تكوّن الفريق من بعض الضباط الشباب شأن معظم الذين شاركوا في تنفيذ هذا الانقلاب العسكري.

في نفس الوقت، بوغت قائد الجوية العراقية (الزعيم جلال الاوقاتي) بجماعة اخرى من صغار الضباط نجحت باقتحام منزله وسارع افرادها الى غرس بنادقهم الرشاشة في صدره طالبين منه ان يضع توقيعه على أمر يقضي بشن عملية جوية ضد وزارة الدفاع الوطني مقر اقامة الزعيم قاسم. ولما رفض ان يفعل ذلك، ازداد الضباط الشباب حدة في عدوانيتهم. عندئذ وضع الزعيم (الاوقاتي) احد اطفاله في حضنه معتقداً ان ذلك كفيل بردعهم قليلاً، الا انهم على العكس صاروا اشدّ شراسة وخطراً في تهديدهم. وهنا، وتحت فوهات البنادق الرشاشة المتحفزة نحو رأسه وافق على توقيع أمر القيام بالعملية. بيد انهم وحال انتهائه من وضع توقيعه اطلقوا عليه رشقات رصاص عدة اردته قتيلاً في الحال.

هذه هي البداية الفعلية الاولى لعملية تنفيذ الانقلاب العسكري. وفي تلك اللحظة كانت عدة طائرات قادمة من قاعدة الحبانية قد ظهرت فجأة فوق قاعدة عسكرية اخرى كائنة في موقع جنوب غربي بغداد تسمى بـ«معسكر الرشيد» يرابط فيها عادة قسم مهم من القوة الجوية والدبابات. فالجماعة المتمردة كانت تعرف مسبقاً بانها لا تمتلك أي حظ في كسب ضباط الجو العاملين في معسكر الرشيد الى جانبها. لذلك سارعت، عبر عمليات قصف نُفذت جيداً، الى تدمير جميع اسراب الطائرات الرابضة هناك خلال بضع دقائق فقط. وبفضل الفوضى التي نتجت عن ذلك، بوشرت الهجمات الجوية على مقر وزارة الدفاع الوطني. حيث كانت الطائرات القادمة من معسكر الحبانية تحلق على ارتفاع منخفض، مقتفية مسار مياه دجلة المتاخم للجانب الشمالي من وزارة الدفاع، قبل ان تنطلق لتلقي قذائفها فوقها ثم تصعد محلقة عالياً في سماء مدينة بغداد نفسها. هذه الفعاليات الجوية التي ايقظت جميع سكان بغداد من نومهم، اعطت الانطباع خلال بعض الوقت بان ما يجري هو مجرد مناورة جوية. غير ان راديو بغداد سرعان ما باشر اذاعة البيان رقم واحد الصادر من (المجلس الوطني لقيادة الثورة» الذي اعلن «ان زمن الدكتاتورية الخائنة وزمرتها انتهى بعد ان سحقت كالجرذ تحت انقاض وزارة الدفاع).

لكن وحتى تلك اللحظة لم يكن الأمر كذلك في الواقع. بل ان الزعيم عبد الكريم قاسم لم يكن آنئذ في أي من المباني التي كانت الطائرات تهاجمها.

الشعب يحيي قاسم تحية الوداع

ففي فجر ذلك اليوم، وبعد اختتام جولته التفقدية المعتادة في شوارع بغداد النائمة، ذهب الزعيم قاسم الى منزل والدته التي كانت تسكن في منطقة «الكرادة». ولهذا فانه فوجئ، شأنه شأن باقي سكان بغداد، بحصول الهجمات الجوية. ولقد ظل على اتصال تلفوني مع الوزارة قرابة الساعتين قبل ان يذهب بنفسه الى مقر قيادته العامة في نحو ما بين العاشرة والعاشرة والنصف صباحاً ليتولى بنفسه قيادة المقاومة ضد الانقلاب العسكري.

فقبل ان يدخل مباني الوزارة المقصوفة، تجول في عدد من احياء بغداد، ظاهراً بنفسه امام السكان بهدف تبديد آثار الاعلان عن موته عبر اذاعة بغداد. ولقد بدا قاسم مطمئناً جداً بينما كانت الاوساط الشعبية البغدادية تعبر له عن حبها بشكل صادق وهي تودعه في لقائها الاخير معه في تلك اللحظة.

وكان السكان في تلك الساعة يتابعون معركة اذاعية بين محطتي الراديو والتلفزيون. حيث كان الراديو الذي سقط بأيدي المتمردين يعلن موت قاسم، بينما كانت محطة التلفزيون، التي يبدو ان «المجلس الوطني لقيادة الثورة» نسيها في حساباته، تعلن من جانبها ان «الزعيم المخلص» لا يزال على قيد الحياة وهو الذي يقود المقاومة، كما راحت تبث اشرطة يظهر فيها وهو يخطب في الجماهير. عندئذ، وبعد ان فشلت محاولاته العديدة لقطع البث التلفزيوني عبر الاوامر الهاتفية، اصدر «المجلس الوطني للثورة» اوامره للطائرات بقصف مبنى التلفزيون. وبانقطاع البث التلفزيوني فجأة هكذا، خسر قاسم الوسيلة الوحيدة التي ظلت بيده للحفاظ على قناة اتصال مع جماهير الشعب في بغداد.

مدرعات معسكر الرشيد رفضت التحرك

حتى نهاية صباح يوم الجمعة ذاك، كان قاسم لا يزال صامداً، حيث استطاع العسكريون السبعمئة الموجودون في وزارة الدفاع ان ينظموا مقاومة كفيلة بتعريض الطائرات التي تحاول مهاجمتها الى الخطر. وهنا جاء تدخل المدرعات بمثابة المرحلة الثانية في عملية التمرد، اذ انه هو الذي سيقلب كفة الوضع لمصلحة الضباط الشباب الذين كانوا قد حضروا للانقلاب بجرأة لكن بشكل عجول جداً في ذات الوقت. ففي بغداد معسكران كبيران احدهما يعرف باسم (معسكر الرشيد) والآخر باسم (الوشاش)، تتواجد في كل منهما اعداد مهمة من القوات المدرعة. وبرغم ان قوات الوشاش اعلنت تأييدها للانقلاب العسكري منذ الدقائق الاولى للتمرد، فانه كان ينبغي الانتظار حتى بداية ما بعد الظهيرة، لكي نرى الدبابات تظهر في شوارع بغداد لتقوم بتطويق وزارة الدفاع من بعيد، وذلك لأن العمليات الجوية للطائرات منعتها من الاقتراب جداً من مباني الوزارة المحاصرة.

وهنا، ومن داخل الوزارة، راح قاسم يحاول التمكن من استقدام القوات المدرعة المرابطة في معسكر الرشيد لتجيء في نجدته، غير انه كان يواجه رفضاً مبطناً من لدن المسؤولين فيها. حيث كان قائد القوات المدرعة في معسكر الرشيد يراوغ زاعماً بانه عاجز عن القيام بشيء. لكنهم يقولون اليوم في بغداد ان ضباط المدرعات كانوا يعتقدون منذ ١٨ كانون الاول ١٩٦٢، بان قاسم يشك في ولائهم، حيث قام في احد الاجتماعات العسكرية معهم بابراز ورقة مطوية في يده وهو يقول لهم "انني اعرف ان بينكم من يحضر لمؤامرة ولديّ في هذه الورقة اسماؤهم وبعضهم من كبار الضباط..".

الساعات الاخيرة من حياة الزعيم قاسم

اعدم الزعيم عبد الكريم قاسم في قاعة الموسيقى العربية في دار الاذاعة ببغداد، والتي استخدمت كمقر لقادة التمرد ضد نظامه في ٨ شباط.

لقد مات قاسم بشجاعة، فهو رفض ان تعصب عيناه، الا انه كان الوحيد، بين الرجال الذين اعدموا معه، الذي كبلت يداه الى بعضهما خلف الظهر. وكانت الكلمات الاخيرة التي اطلقها قبل اعدامه: (انكم تستطيعون قتلي، غير ان اسمي سيظل خالداً في تاريخ الشعب العراقي).

وفي فيلم الاعدام الذي بثه تلفزيون بغداد مساء يوم السبت، التاسع من شباط، (بين فيلمي كارتون امريكيين) نشاهد بالقرب من اجساد قاسم والرجال الثلاثة الآخرين، بعضاً من الآلات الموسيقية الخاصة بفرقة الاذاعة.

لقد سلم قاسم نفسه في الساعة السادسة صباح يوم السبت. لكن اعدامه لم يتم الا في الواحدة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم. وقبل ايقاف القتال، كما طوال كل نهار وليل يوم الجمعة ٨ شباط، اشتبك في مواجهات هاتفية عديدة مع قادة (المجلس الوطني للثورة» ولا سيما مع عبد السلام عارف الذي اصبح رئيساً للجمهورية في حكومة الانقلاب العسكري. (بمَ تستطيعون اتهامي)) كان قاسم يسأله بالحاح، وعارف يكتفي بالجواب (نريد منك ان تستسلم...).

ولقد عرض قاسم ان يسمحوا له بمغادرة العراق طالباً ضمان انتقاله. لكنه، وبمواجهة الرفض الذي قوبل به طلبه، كان يخطط للتسلل الى نهر دجلة، الذي يمر على مقربة من وزارة الدفاع، بأمل التمكن من الوثوب الى قارب سريع يمكنه من الانتقال الى خارج بغداد. الا ان الوزارة كانت تحت القصف من كل جانب كما ان قوة من الشرطة كانت قد استولت على قاربه أصلاً. وامام استمرار القصف على وزارة الدفاع عادت المجادلات الهاتفية بين قاسم وعارف. فالزعيم قاسم يطلب ان تضمن له حياته وعارف يجيب (وهل ضمنا حياة فيصل) (ويقصد فيصل الثاني ملك العراق الذي قتل في ١٤ تموز ١٩٥٨).

وعندما توقف القتال وبدأ المظليون يتوغلون باحتراس داخل وزارة الدفاع بغرض اعتقال قاسم والمجموعة الاخيرة من الاوفياء له، كان قاسم موجوداً في المسجد داخل وزارة الدفاع. غير ان العسكريين المتوغلين لم يقدموا على اعدامه في الحال انما اقتادوه الى دار الاذاعة في بغداد ومعه العقيد فاضل عباس المهداوي (الرئيس السابق لمحكمة الشعب) والعقيد طه الشيخ احمد والرئيس الاول خليل كنعان.

استجواب مأساوي وخاطف

في الاذاعة، بدأ عبد السلام عارف بنفسه استجواب الزعيم قاسم، وكان استجواباً، حسب رواية العديد من الشهود، خاطفاً ومأساوياً في ذات الوقت. فكل ما كان يهم عارف في الاستجواب هو ان ينطق قاسم امامه انه، اي قاسم، (لم يكن القائد الحقيقي لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨)، وانه «خان الثورة».. وبينما كان المجلس العسكري المجموع على عجل، في احدى قاعات الاذاعة يجهد لتلبيس اعدام قاسم ورفاقه الثلاثة لباساً قانونياً، كان الضباط الصغار يتشاجرون فيما بينهم لنيل "شرف" رئاسة المجموعة التي تتولى قتل عبد الكريم قاسم. وقد انتهى الامر باختيار عبد المنعم حميد على اساس انه "تعرض الى الاعتقال بأمر من قاسم". وفور انطلاق رشقات الرصاص التي اودت بحياة عبد الكريم قاسم والمهداوي وطه الشيخ احمد وخليل كنعان (وكان الأولان جالسين على كرسيين والأخيران واقفين) سارع راديو بغداد الى اعلان نبأ الاعدام حتى قبل ان يذيع نبأ اعتقالهم.. وهنا ايضاً جرى البحث عن شخص يستحق شرف اعلان "موت الطاغية" على الشعب العراقي. وقد جرى في النهاية اختيار بنت الزعيم الطبقجلي. لأن ابيها كان بين الذين حكم عليهم بالاعدام من قبل محكمة الشعب برئاسة العقيد المهداوي، وصادق قاسم آنذاك على قرار الحكم.

عبد الكريم قاسم والساعات الأخيرة

د. عقيل الناصري

التحقت بقوى الانقلاب بعد ظهر ذلك اليوم وحدات من بطاريات المدفعية المتمركزة في الجهة المقابلة لوزارة الدفاع عبر نهر دجلة في جانب الكرخ كما التحقت مجموعة جديدة من الدبابات لتنضم الى القوى المهاجمة للوزارة من شارع الرشيد وانضمت إليها طائرات جديدة الى جانب تلك التي شرعت بقصف وزارة الدفاع ومعسكر الرشيد،هذا التكثيف والمساندة لقوات الانقلاب أدت الى تركيز الهجمات العسكرية على مقر الزعيم عبد الكريم قاسم حيث قصف بعدة صواريخ جو- أرض بغية قتله بأسرع ما يمكن خوفاً من احتمال قدوم نجدات من الوحدات العسكرية القريبة من بغداد.

في هذا الوقت طلب الزعيم عبد الكريم قاسم من مدير الحركات العسكرية عبد الرحمن عبد الستار الاتصال بكتيبة مدرعات خالد في منطقة المشتل يستحث أمرها بأمر تحريري الإسراع بالقدوم لفك الحصار المضروب على الوزارة، لكن الرسالة كما تقول المصادر لم تصل الى مبتغاها اذ وقعت في أيديهم، والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا، لماذا لم يتحرك أمروا الوحدات العسكرية المناط بهم تطبيق خطة أمن بغداد بما فيهم هذا الأمر؟ أو أولئك المعنيين بجوهر الانقلاب والعارفين بخفاياه؟ هل الأمر متعلق بالحالة النفسية وما شابهها من ارتباك نتيجة المباغتة والأخبار الكاذبة عن مقتل الزعيم قاسم؟ ألا يستطيعون الاستنتاج وهم المحاربون المحترفون؟ إن استمرار القصف الجوي والأرضي بضراوة يعني أن المسألة غير محسومة وأن هناك مقاومة مستمرة، أو أن الامر متعلق بانعدام الرؤيا السياسية الواضحة للصراع القائم ورغبتهم بالوقوف على التل لأنه الأسلم كما يتصورون برغم معرفتهم بحصافة وسلامة موقف الزعيم قاسم في عملية الصراع القائم آنذاك، أو يكمن ترددهم في عدم مساندة الزعيم لاسباب فنية صرفة غير معلن عنها، أو أن بعضهم حاول الشروع بالتحرك في المساندة وهذا ما حدث فعلاً على قلته، لكنهم قمعوا بقسوة من قوى الانقلاب والضباط المتمردين.

إن واقع التشتت الذي أصاب كل خلايا المجتمع العراقي في تلك الفترة العصيبة وما سبقها من ظروف يفرض نفسه في عدم إمكانية التماثل والتساوي في مواقف أمراء الوحدات العسكرية من الانقلاب ومساندة الزعيم قاسم من عدمها خاصة أولئك الذين لم يكونوا مع الانقلاب لا روحياً ولا نفسياً، ويبدو أن هناك ظروف غير معروفة أو غير منشورة حالت من دون تنفيذ أوامر القائد العام للقوات المسلحة علماً أن الأغلبية المطلقة من المراتب الدنيا والجنود كانت تبدي حماساً ملحوظاً في ضرورة التحرك لفك الحصار عن وزارة الدفاع وإخماد حركة الانقلاب، لكن الأمر النهائي كان مناط بضباطهم وقيادات وحداتهم الذين ينقصهم الوعي السياسي للعلاقة المبدئية للزعيم قاسم وضعف المبادرة الذاتية.

وفي حدود الساعة الثالثة أدرك الزعيم قاسم، حسب استنتاجنا خطأه في اعتماده المعايير العسكرية البحتة وحدها في إشغال المراكز الحساسة ومفصلية داخل الجيش في ظروف كان المفروض فيه الأخذ بالاعتبار موقف الضابط السياسي والعسكري في آن واحد، وتجلى موقف هؤلاء المترددين في ساعات الانقلاب الأولى حيث كان عبد الكريم قاسم يعتقد أن الضباط سينفذون أوامره وكان كلما كلم ضابطاً على إنفراد أبدى استعداده وقال نعم والآن سنخرج وسننفذ الأوامر، لكن ما أن يقفل عبد الكريم سماعة الهاتف حتى توضع أوامره جانباً ولا تنفذ بعدها أدرك الزعيم قاسم متأخراً موقفه من المنظمات الاجتماعية والنقابية التي كانت تؤيد جوهر سياسته العامة تلك التي احتشد أعضائها وقياداتها السابقة أمام الوزارة مطالبة إياها توزيع السلاح عليها

بدء الخناق يشتد على بناية وزارة الدفاع بعد ظهر اليوم الأول لانقلاب شباط إذ حوصرت من اغلب جهاتها خاصة بعد التحاق العديد من العسكريين المناوئين لسلطة تموز بوحداتها العسكرية تلبية لنداء إذاعة الانقلاب وبغض النظر عن موقفهم من السلطة الجديدة وطبيعتها وقوامها فلقد خضعوا لمنطق الأنظمة العسكرية وضوابطها ولم يمعنوا لتفكير في ماهية السلطة الجديدة ومدى شريعتها الدستورية وآفاقها اللاحقة.

في الوقت الذي سلمتها الأجهزة الحكومية والأمنية لشخصيات لا لون لها ولا موقف محدد من مصير النظام وآفاقه.

لقد انتظر الزعيم قاسم معرفة ردود أفعال القوى المؤيدة له من حزبية ومستقلة إزاء مفعول البيان الذي أملاه على مدير الأمن العام مطالباً فيه الجماهير بعدم الامتثال لقرار منع التجوال الذي أذاعته إذاعة الانقلاب وخروجها للشوارع دفاعاً عن الثورة ومشروعها وعرقلة القوات المهاجمة، لكنه فوجئ كما تقول المصادر بخلو الشوارع، وهنا نتساءل مرة أخرى هل استجاب مدير المن العام لهذا الطلب؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فهل وزع منتسبو هذا الجهاز البيان كما أمر الزعيم قاسم؟ أم إنه تم الاكتفاء بطبع البيان تلافياً لاحتمال المحاسبة عند فشل الانقلاب، لذا لم يوزعوه بالشكل المطلوب والمفترض.

من جانب آخر لماذا لم تتحرك قوى الأمن بصورة ايجابية وتستخدم ما لديها من إمكانات مادية لعرقلة قوى الانقلاب من الوصول لغايتها؟ وهل كان الاعتقال المبكر لمدير الأمن العام من قبل قوات الانقلاب دوراً في شل فعالية قوى الأمن ؟ أو ربما كان صدور الأمر تعيين جميل صبري مديراً للأمن العام من قبل إذاعة الانقلاب قد أفشل موضوع طبع وتوزيع البيان؟

ستبقى كثير من الاستفهامات تطرح نفسها وستظل الإجابات عليها طي الكتمان ما لم تنشر المعلومات الرسمية عن مجريات الأمور في مديرية الأمن العام يوم الانقلاب.

وفي حدود الساعة الواحدة والدقيقة الأربعين أذيع أمر تعيين العقيد خالد مكي الهاشمي بمنصب قائد القطاعات المدرعة في بغداد ومديراً للدروع، إضافةً الى منصبه وقد سبق للمومى إليه ان التحق بكتيبته، كتيبة الدبابات الرابعة بعد الساعة الثانية عشر إذ أصبحت حظوظ نجاح الانقلاب أكبر ومن ثم قام بالاستيلاء على بقية كتائب الدبابات المجاورة في معسكر أبي غريب مما أهله أن يتحكم بحدود خمسين دبابة وبدا بتحريكها لمساندة الانقلاب حيث وجه بعضها الى وزارة الدفاع والبعض الأخر الى المناطق الشعبية التي كانت تقاوم الانقلاب مثل الكاظمية وعقد الكراد في شارع الكفاح والكريمات قرب الإذاعة.

وفي حدود الرابعة عصراً أقحم المشاة في معركة وزارة الدفاع بعد أن كانت مقتصرة على الدبابات مما صعد من حدة القتال وجوبهت القوى المهاجمة بمقاومة شديدة لم يتوقعها الانقلابين خاصة من قبل منتسبي الانضباط العسكري الذين استطاعوا رد الهجمات أكثر من مرة طيلة عصر ومساء الثامن من شباط مما دعا قائد قوة الهجوم الى طلب المساعدات العسكرية أكثر من مرة، هذا ما أكده أغلب من كتب عن هذه المعركة.

وإزاء المقاومة العنيدة أعلنت إذاعة الانقلاب في حدود الخامسة عصراً عن تعيين العقيد محمد مجيد من حركة القوميين العرب مسئولا عن إدارة وقيادة الهجوم على وزارة الدفاع حيث حددت مهمته في القضاء على المقاومة المسلحة وعلى الزعيم قاسم ورفاقه من الضباط.

وفي حدود الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم وبالتنسيق مع بطاريات المدفعية والدبابات المتمركزة في الجانب الثاني من دجلة جانب الكرخ وبقيادة الضابط عبد الكريم زاهد والتي كانت تصب نيرانها على مقر الزعيم قاسم منذ الصباح حتى أصبح المقر مطوقاً في كماشة من النار، واستمر القتال عدة ساعات وقوة الانقلاب أكثر عدة وعدداً لم تستطع سوى السيطرة على عشرات الأمتار من مدخل بناية وزارة الدفاع، ولا يعلل ذلك سوى المقاومة الشديدة التي أبداها الضباط الصغار ومراتب وجنود القوات المتمركزة لحماية الوزارة، كما ذكر ذلك أحد ضباطها.

توقف القصف الجوي بعد حلول الظلام لكن القتال استمر حول الوزارة طوال النصف الأول من الليل والذي تم خلاله احتلال بعض أجنحة الوزارة وأسر العديد من الجنود والمراتب المدافعة، حيث كانت إذاعة الانقلاب طيلة نهار الثامن من شباط تعلن عن التعيينات في قوام السلطة الجديدة على مختلف الصعد العسكرية والأمنية لتشل من قدرة السلطة على التحرك نتيجة لنصيحة خبراء الانقلابات العسكرية ولمعرفتهم بخضوع الضباط الى الانضباط العسكري وسياقات أوامره، وفي حدود العاشرة صباحاً أذيع البيان رقم أثنين الذي بموجبه تم إحالة أهم أركان المؤسسة العسكرية التي استند عليها نظام الزعيم قاسم على التقاعد والذين بلغ عددهم ١٨ ضابطا، ومن الملفت للنظر إن هذا البيان لم يشمل كل قواد الفرق العسكرية إذ استثنى البعض منهم ممن لا يخشى الانقلابين اندفاعهم في حماية النظام أعقب ذلك إجراء تعيينات في قوة الأمن الداخلي والوحدات العسكرية حيث عين كل من عبد الغني الراوي قائداً عسكرياً لمنطقة الرمادي وعين الرئيس الأول النقيب جميل صبري البياتي مديراً للأمن العام وعبد الهادي الراوي آمراً لمعسكر الرشيد ومحمد مجيد مديراً للخطط العسكرية وسعيد صليبي الجميلي آمراً للانضباط العسكري ومنح المقدم أحمد أمين رتبة زعيم شرطة ومديراً عاماً للشرطة كما منحت الرتبة ذاتها الى المقدم فاضل السامرائي مع تعيينه آمراً للقوة السيارة (شرطة النجدة) وعبد الكريم فرحان آمراً لموقع بغداد وعبد الرحمن عارف قائداً للفرقة الخامسة ونقل

العقيد حمدي سعيد الى منصب آمر اللواء الخامس والعشرين ونقل آمر اللواء السابق العقيد زكي حسين حلمي الى إمرة الإدارة والزعيم مدحت عبد الله مديراً إدارة الجيش وبعد الثامنة مساءاً بقليل أعلن عن تعيين العقيد رشيد مصلح التكريتي حاكماً عسكرياً وعارف عبد الرزاق قائداً للقوة الجوية وطاهر يحيى رئيساً لأركان الجيش والدكتور عبد العزيز الدوري رئيساً لجامعة بغداد محل الدكتور عبد الجبار عبد الله الذي أقصي من منصبه ومن ثم أعتقل.

وفي حدود الساعة العاشرة صباحاً أعلن البيان رقم ثلاثة الخاص بتشكيل قوات الحرس القومي لكي تدافع عن الشعب والوطن وتساعد قوات الجيش والشرطة في رعاية المواطنين، بعدها ألحقه البيان رقم ٤ الخاص بتعيينات قيادة الحرس القومي برئاسة العقيد الركن عبد الكريم مصطفى نصرت ومجموعة من الحزبيين المدنيين الذين منحوا رتباً عسكرية مؤقتة، ثم توالت جملة من البيانات والمراسيم والقرارات الخاصة بمنع التجوال وإغلاق الحدود والمطارات وإلغاء تراخيص الفرق المسرحية والصحف والمجلات كان هذا في البيان رقم ٦ كذلك دعوة بعض الضباط الى الالتحاق بمناصبهم وموظفي ومستخدمي دوائر البرق والبريد والهاتف والأطباء والعاملين في المخابز للالتحاق بأعمالهم وإلا تعرضوا للعقاب .

وعند الساعة التاسعة وعشرين دقيقة صدر البيان ١٣، وفي حدود العاشرة والربع صدرت التعيينات الرئيسة في السلطة الجديدة إذ صدر البيان رقم ١٥ الذي نص على تأليف مجلس قيادة الثورة الذي عين نفسه بنفسه وخولها ممارسة السلطة العليا في الدولة بما فيها التشريعية وتحديد صلاحيات القائد العام للقوات المسلحة وانتخاب رئيس الجمهورية وتعيين مجلس الوزراء وتحديد مهامه، بعدها أصدر المجلس البيان ١٦ القاضي بحل مجلس السيادة وإعفاء رئيسه وأعضاءه من مناصبهم وبغية ملء الفراغ الدستوري للسلطة الجديدة، تلاه البيان ١٧ القاضي باختيار المجلس عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية بعد ترقيته الى رتبة مشير ثم أعقب ذلك البيان ١٨ والذي بموجبه أعلن عن قيام الحكومة المؤقتة برئاسة أحمد حسن البكر والتي ضمت واحد وعشرين وزيراً.

وبعد منتصف الليل وتحديداً في الساعة الثانية و ٣٥ دقيقة من صباح التاسع من شباط قطع راديو بغداد بث الأناشيد الحماسية ليذيع برقية التهنئة المرسلة من جمال عبد الناصر الى عبد السلام عارف، ورد الأخير عليها، وقد كانت هذه البرقية بمثابة اعتراف أولي بالنظام الجديد برغم عدم استتباب الوضع وعدم معرفة مصير الزعيم قاسم ومآل النظام السياسي، وأدناه نص البرقية:

السيد الرئيس عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية..

لقد تابع شعب الجمهورية العربية المتحدة بقلب صاف متجهاً الى الله العلي القدير أحداث يوم ضخم كبير عاشه شعب العراق الباسل وحاول طواله بعزم وإيمان ان يعيد تصحيح ثورته ويجعلها حيث أراد لها أن تكون في خدمة وطنه وعروبته، وإني لأشعر ان شعب الجمهورية العربية المتحدة وصل الى نهاية هذا اليوم الحافل وهو يحمد الله من أعماقه ان أعلى إرادة شعب العراق وكتب النصر لها ومكن لهذا الشعب العظيم من أن يصبح سيد أقداره مرة أخرى ليكون كما هو حق له طليعة للنضال العربي وعزاً للأمة العربية وإني إذ أهنئكم بثقة المجلس الوطني لقيادة الثورة في العراق واختياركم منه لرئاسة الجمهورية العراقية، أبعث إليكم في نفس الوقت بكل أماني التوفيق.

جمال عبد الناصر

ورد الرئيس المعين عبد السلام عارف عليها بالبرقية الجوابية الآتية:

الأخ الرئيس جمال عبد الناصر المحترم/ القاهرة

أشكركم أعمق الشكر على تهنئتكم لجيشنا وشعبنا بثورته الظافرة ونقدر ونثمن مساندة وتأييد الجمهورية العربية المتحدة حكومة وشعباً لثورة العراق.

ان المجلس الوطني لقيادة الثورة إذ يقدر أعظم التقدير شعوركم الأخوي وتضامنكم مع شعبنا وجيشنا، يدعو الباري عز وجل ان يوفقنا لخدمة أمتنا العربية المجيدة وتحقيق أهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية.

عبد السلام عارف

رئيس الجمهورية العراقية

المفاوضات

استمر الزعيم قاسم نهار وعصر اليوم الثامن من شباط في إجراء اتصالاته التلفونية مع قادة الوحدات العسكرية، كما أجرى اتصالاً بعد الظهر بعد سماعه خبر تعيين خالد مكي الهاشمي آمراً للدروع، لكن هذا الأخير لم يجرؤ على التحدث معه حتى في التلفون، كما أعلن ذلك هو بنفسه مخافة انهياره خاصة كما عرفنا سابقا ان الهاشمي انهار أمام الزعيم في الأيام الأخيرة السابقة للانقلاب وكشف عن تورطه في عملية انقلابية وتعهد للزعيم قاسم بعدم تكرارها مستقبلاً. وفي مساء ذلك اليوم (بعد العاشرة والنصف) أجرى الزعيم قاسم العديد من المكالمات الهاتفية كان بعضها مع قادة الانقلاب والعسكريين منهم تحديداً بعد ان أذاعوا مكونات تشكيلة سلطتهم بغية التفاوض معهم لأجل إيقاف المعركة الدائرة بشأن وزارة الدفاع وحقن الدماء النازفة عبثاً.

مهد هذه المكالمات مع عبد السلام عارف الذي كان في مقر الإذاعة مع بقية أعضاء المجلس الوطني ومع طاهر يحيى الذي كان في معسكر الرشيد الى أجراء المفاوضات التي كان الوسيط فيها يونس الطائي/ صاحب جريدة (الثورة البغدادية) آنذاك، ومما يثير الانتباه عند قراءة ما كتبه جميع مؤرخي هذا اليوم وشهود وقائعه.. ان هناك إجماع على قيام يونس الطائي بدور الرسول أو الوسيط بين الزعيم قاسم وقوى الإنقلاب.

لكننا نتساءل هل كان هناك حقاً ما يمكن ان نطلق عليه اسم (مفاوضات) كشكل ومضمون؟ وان وجدت فعلاً فما هي موضوعاتها وشروط طرفيها؟ وليس الطرف المنتصر فحسب كما نراه منشوراً الآن، ومن كان يمثل الطرفان فيها؟ كما نطرح بإلحاح خاصة على من يتبنون فكرة المفاوضات، وما هي الشروط التي طلبها الزعيم قاسم من الانقلابيين والتي وعدوه ورفاقه بها؟.. وثمة أسئلة كثيرة في هذا الصدد تطرح لكن يحاول (شهودها الصامتون) (حتى لأصبح صمتهم كالكلام أيديولوجيا) طمس محتوياتها، وذلك بتركيزهم على نقاط عمومية لا تلامس الجوهر، هالامية الشكل تتماشى مع شروط الانقلابيين وتخدم غاياتهم، إذ أكد هؤلاء الشهود بصور كثيرة على مطلبيه واحدة للزعيم قاسم، تركزت في طلبه السماح له ولرفاقه بمغادرة الوطن، هذا التوكيد من قبلهم أريد منه ويحمل في طياته مآرب وغايات يحاول الانقلابيين التلويح بها بغية الإساءة لقاسم، باعتباره كان يركز على مطالب ذاتوية/ أنويه.

وهذا ما يمكن استنتاجه من قول طالب شبيب عندما اعتقد أن (قاسم لن يستسلم وسيقتل إما بالهجوم أو بالانتحار).

ويستذكر طالب شبيب هذا الموضوع بالقول:

حصل الاتصال الثاني بيننا وبين عبد الكريم قاسم حينما هاتفنا في محطة إذاعة بغداد محاولاً التحدث مباشرة الى المجلس الوطني لقيادة الثورة الذي انتقل الى هناك، وبعد فشله – هناك بعض المصادر تكذب ذلك/ الناصري- سعى للاتصال بمعسكر الرشيد الذي سيطر عليه الثوار فتحدث الى العقيد الركن طاهر يحيي التكريتي – لم يكن ضابط ركن/ الناصري- طالباً السماح له بترك بغداد والاتفاق على المكان الذي يرغب أو نرغب أن يسافر إليه مع معاونيه، وكان جواب طاهر يحيى باستمرار هو (إننا غير مستعدين للتفاوض ويجب عليك أن تستسلم من دون قيد أو شرط وإننا نريد رأسك) وكرر ذلك على مسامع عبد الكريم قاسم في جميع مكالماته.

لم يتطرق طاهر يحيى التكريتي الى ذات التعبير المذكور أعلاه برغم أن سلوكيته الاجتماعية وتركيبته النفسية والأخلاقية لا تستنكف من استخدام مثل هذه التعابير السوقية، لكن ليس مع عبد الكريم قاسم (.. ثم من المستحيل أن يجرؤ طاهر يحيى التكريتي التحدث مع قاسم بالتليفون أو مباشرة، كما ادعى ذلك شبيب ومجلس الثورة لأن يحيى قضى درس الكلية العسكرية تحت إمرة قاسم وقضى بقية حياته المهنية كضابط تلميذاً له وعضو في منظمته للضباط الأحرار، ولا يمكن أن يتصرف مثل هذا التصرف خصوصاً أنه يمتلك الأصول والحدود، كما إني قابلته في معسكر الرشيد في اليوم نفسه ولم أفهم منه ما يؤكد إدعاءه أمام قيادة الثورة وأمام علي وحازم وطالب والبكر وعبد السلام ومحسن وعماش، بل سمح لي أن أعاتب ضباط قاسم المعتقلين عنده عندما قلت لهم: لماذا خنتم زعيمكم الذي أحببتموه، ولم أتصرف بذلك إلا لمعرفتي بما يكنه طاهر يحيى لعبد الكريم قاسم من احترام، أما ما قاله فيأتي في سياق الردح بعد إسدال الستار وغياب عبد الكريم قاسم)، وقد أكد ذلك يونس الطائي.

كل الدلائل أشارت الى حدوث اتصالات بين الزعيم قاسم وقادة الانقلاب العسكريين بدأت بالتليفون لتنتهي الى ما يمكن أن نطلق عليه بـ«المفاوضات» برغم إن هذه المقولة لا تنسجم مع ماهيات ما جرى خاصة عند مقابلة يونس الطائي للانقلابيين في الإذاعة، حيث قال شبيب : إننا لم ننتدب شخصاً بعينه لإدارة تلك المفاوضات بل كان الطائي يجلس بيننا كأنه أحدنا فنتحدث إليه بصورة جماعية ولم نعتبرها مفاوضات.

ويقول جرجيس فتح الله نقلاً عن حديث أدلى به يونس الطائي له: لم يتح الوقت لكلينا لإكمال الحديث الذي بدأه وإني أثبت هنا القسم الأكبر مما حدثني به حيث قال: في صباح ذلك اليوم خطر ببالي أن اقصد العقيد صفاء محمد علي إلا إني فضلت الذهاب الى وزارة الدفاع فوجدت هناك الزعيم وهو يسجل خطاباً – يصر الطائي أثناء حديثنا على الإشارة الى قاسم بكلمة الزعيم وقد حمدت له في سري إخلاصه هذا برغم كل شيء- وأعطى لسعيد الدوري مسئول الإعلام، ولاقيت هذا الأخير بعد عدة سنوات وسألته، لماذا لم يذع الخطاب؟ فاعتذر بقوله إنه لم يكن بوسعه.

أراد الزعيم أن يذهب الى معسكر الرشيد إلا أن طه الشيخ أحمد قال له: لا فلنذهب أولاً الى وزارة الدفاع، والتحقت بهم وقبيل الساعة الثانية عشر ظهراً أخذ الزعيم القلم مني ووقع قانون النفط رقم (٨٠)، الحقيقة هو قانون تأسيس شركة النفط الوطنية العراقية/الناصري، وبعدها قطعت الأضواء فنزلنا الى تحت وفي تمام الساعة الثانية عشر أقبل وصفي طاهر وجلس في البهو وبيده رشاشة نوع (سترانك) واشتد القصف فتحولنا الى قاعة الشعب، وفي تمام الساعة الواحدة بعد منتصف النهار قرر الزعيم الذهاب الى معسكر الرشيد فخرجنا وعندما وصل الى الباب عدل فجأة ونزل من السيارة ودخل غرفة الانضباط العسكري واستغرق في النوم، اتصلت بمدير الأمن العام عبد المجيد جليل وسألته الموقف فأجاب (زين)، وقبل أن ينام الزعيم قاسم طلب مني كتابة بيان عن لسانه فكتبته وقرأته عليه يناشد فيه الشعب المحافظة على الجمهورية ومكتسباته والوقوف وراءه والمقاومة والقضاء على الخونة، بعد قليل قال أحد الموجودين جاءت مدرعة وأخذت عبد المجيد بعدها أزداد القصف عنفاً وعدل عن الخروج من وزارة الدفاع وقال: ابحثوا لنا عن مكان أمين ورافقته الى قاعة محكمة الشعب (المحكمة العسكرية العليا الخاصة) وعند آذان المغرب أفطرنا على برتقالة وبقي الزعيم ساكتاً لا يتكلم بعدها قال لي أحد الحاضرين إن الزعيم اتصل بجاسم العزاوي تلفونياً قبل مجيئي الى وزارة الدفاع ثم التفت ليقول: إن جاسم معهم.. ثم أقبل محمد عارف يحيى الحافظ وقال للزعيم أنا معك.

اتصلت بطاهر يحيى فسألني أين أنت؟ فقلت له في وزارة الدفاع، فقال: سأبعث لك سيارة تقف بانتظارك بالقرب من كلية البنات فخرجت بعد قليل ووجدت السيارة وفيها الضابط الرائد أحمد أبو الجبن فأخذني الى طاهر يحيى في معسكر الرشيد واستقبلني هو وأنور الحديثي قبلني وقال لي: آسف ليس بيدي شيء.

ربما تتضح هذه الأبعاد في تصريح يونس الطائي مع محاوره الدكتور علي كريم سعيد الذي يقول فيها: بدأت رحلتي كوسيط بين قاسم وجلس الثورة عندما تحدثت هاتفياً مع طاهر يحيى في معسكر الرشيد وكنت في قاعة الشعب مع الزعيم والعبدي وكنعان حداد، فقال يحيى: تعال الى معسكر الرشيد وأهلاً وسهلاً وأرسل سيارة لتأخذني، قابلت يحيى وكان أنور الحديثي يلازمه ولا يتركنا لوحدنا لانعدام الثقة بينهم ولأن الحديثي بعثي والتكريتي تبعث في حينها/ الناصري، قال يحيى: سأرسلك الى الإذاعة ولكن قبل ذلك أريدك أن ترى الضباط الذين أعتمد عليهم الزعيم وهم أسرى خائفين، فبصقت عليهم وقلت لهم ألست عسكرا ؟ فلماذا لم تدافعوا عن زعيمكم ؟

وقال وصلت الإذاعة مفاوضاً وفي مدخلها أمسكني العماش قائلاً: حجي الخزينة فارغة وأعاداها لي ثلاث مرات ... تأسفت بذلك لأنني شعرت بأن أول عمل قام به عماش تفتيش الخزينة والبحث عن المال، بعدها استقبلني عبد السلام يحيط به حازم جواد وطالب شبيب اللذين منعاني من الإنفراد بعارف حيث كانت علاقتي به طيبة وقلت: إن إيقاف القتال سينقذ خمسة مئة شخصاً في الأقل، رد عارف: يريحوا ألف شخص، إن قاسم سيخرج بعد فترة ومن أجل خاطرك سوف لن نعتدي عليه، قلت لعبد السلام: طلبت مني بعرفات وأنا وعدتك أن أتوسط بينك وبين قاسم لتصفية القلوب فرفعت يدك أمام حشد من الناس كانوا يتفرجون داعياً إلى مساندة الثورة والزعيم.

وعند توديعهم لي أمر السعدي بتفتيشي فوجدوا مسدسي الذهبي فأخذوه مني وأعطوه لعبد السلام وعند البوابة اتفقنا على الاستسلام لكن السعدي أضاف شرطاً أن ينزع الزعيم نجماته وجاكيته ويضعها على متنه فاتفقنا وركبت مع عبد الكريم نصرت للوصول الى وزارة الدفاع حيث كانت الساعة تمام الثالثة بعد منتصف الليل على أن يتم الاستسلام في الساعة السابعة صباحاً وكان ذلك في ٩ شباط حيث أخرج أنا أولاً ماشياً أمام رتل فيه قاسم والآخرون مقابل ذلك وعدوني بالالتزام بشرط قاسم بعدم قتل أي من رجاله وبالموافقة على تسفير الزعيم للخارج بعد مرور فترة، أي عندما تهدأ الأمور وكنت قد طلبت مغادرته فوراً لكن عارف طمأنني حيث عدت الى الزعيم عبر سياج الوزارة الحديدي راكباً على متن سيارة كنعان حداد وبحضور العبدي وآخرون قلت للزعيم: وافقوا على وقف إطلاق النار والتسليم بشرط نزع النجمات، فلم يوافق فرفعت السماعة على عبد السلام عارف وقال له الزعيم: لماذا نزع النجمات؟ بعد ذلك أقتنع الزعيم وقبل الساعة السابعة ذهبت الى موقع بغداد حيث عبد الكريم فرحان للإشراف على التنفيذ وكي أبلغهم بموافقة الزعيم حتى لا ينفذوا تهديدهم بتدمير بناء محكمة الشعب، ويقول الطائي لم أكن متربصاً عندما وصلت الإذاعة بل كنت بكامل قيافتي ولم يكن الزعيم في السرداب بل كنا في قاعة محكمة الشعب المفروشة جيداً ولم ينزل للسرداب غير مرة واحدة في نهار ١٩٦٣/٢/٨ ولفترة قصيرة حيث ألقى خطاب على الموجودين فيه، كان هذا رداً على ما أدعاه شبيب بكونه دخل عليهم بوجهه الشاحب المضطرب وقد غطى رأسه وبدلته تراب أبيض/ الناصري.

إن أهم ما كان يشغل بال الزعيم بعد يأسه من النجدة هو مصير مناصريه الذين بقوا معه في وزارة الدفاع حيث كان يعتقد أن الانقلابيين يريدونه هو من دون غيره وربما سيكون استسلامه فدية لهم أو في الأقل يضمن فيه عدم قتلهم، لم يوضح التصريح الثاني الذي قاله بعد (٣٢) سنة من الحديث الأبعاد الكامنة وراء الطلب بوقف إطلاق النار ولماذا أمر السعدي باعتقال الطائي؟ وكيف جرت حيثيات المفاوضات؟ ولماذا لم يتوقف القتال في الساعة السابعة من صباح التاسع من شباط حسب الاتفاق الأولي ؟ ولماذا طلب الزعيم قاسم إيقاف القتال ؟ هل لوقف سفك المزيد من الدماء فحسب ؟ أو تقف عوامل أخرى أمام هذا القرار أو لأجل إيقاف الدمار المادي والمعنوي المنتظر من قوى الانقلاب وقواهم الخارجية المساندة للواقع الاجتماعي العراقي الذي أرسى لبناته التجديدية الأولى؟ أو غيرها من العوامل التي ضغطت عليه بهذا الاتجاه ولم نستطع معرفتها والتي أخذها معه ولم ترغب قوى الانقلاب معرفتها برغم تصريحاته لهم بأنه يحمل أسراراً تهم الوطن.

تتضح هذه الأبعاد في تصريح يونس الطائي مع محاوره الدكتور علي كريم سعيد الذي يقول فيها: بدأت رحلتي كوسيط بين قاسم وجلس الثورة عندما تحدثت هاتفيا مع طاهر يحيى في معسكر الرشيد وكنت في قاعة الشعب مع الزعيم والعبدي وكنعان حداد، فقال يحيى: تعال الى معسكر الرشيد وأهلاً وسهلاً وأرسل سيارة لتأخذني، قابلت يحيى وكان أنور الحديثي يلازمه ولا يتركنا لوحدنا لانعدام الثقة بينهم

ذكريات عن 8 شباط عام 1963

فائق بطي في صحيفة البلاد

د. فـائـق بـطـي

الساعة تشير الى التاسعة من صباح يوم الجمعة الحزين، ذهب الى مقر الجريدة لمراجعة وتصحيح مقاله الاسبوعي "حديث السبت" وبعنوان رسالة عتاب الى الرئيس عبد الناصر، اخبره العامل (علي عزاوي) بأن المقال لم ينضد بعد، لربما كانٍ هذا التأخير من حسن حظه، كما تبين لاحقاً، عاد الى دار الوالدة القريبة من داره، لتناول قهوة الصباح المحببة اليه دائماً.

في مدخل شارع عرصات الهندية الرئيس من جانب منطقة المسبح، لمح سيارة "اوبل" صفراء تعترض السير في وضع يجلب الانتباه، وقد ترجل منها ثلاثة يعرفهم: منذر كبه ، عادل مهدي، ومنذر شماس صديق الاقارب، اعتقد للوهلة الاولى ان السيارة عاطلة، اقترب منهم وعرض عليهم المساعدة، نهروه وشتموه وكانوا واثقين ان تلك الشتيمة هي ساعة الصفر عند افراد الحرس القومي ، تماماً كما كانت عملية اغتيال (جلال الاوقاتي) قائد القوة الجوية امام داره في ساعة صفر الاجرام المقبل بميعاد سر الليل، الذي حمل ساعات صفر لافراد مدنيين بلباس عسكري وضباط جيش من مختلف العناصر الحاقدة على مسيرة الثورة والقوى الديمقراطية واليسارية.

استغرقت عملية الذهاب الى الجريدة والعودة الى العرصات، ولحظات التقرب من سيارة "الاوبل" وتقديم المساعدة المقترحة، ثم التوجه الى دار الوالدة، ما يقرب من عشرين دقيقة، وقبل ان يترجل من سيارته، لمح سامي في وضع مرتبك وهو يشير بيده وبحركة غير متوازنة ، وينادي عليه بصوت ضائع:

-اسرع ، انهم يذيعون البيان رقم واحد.

كان ما يزال بجانب السيارة، فعاجل سامي السؤال:

-من يذيع البيان؟

-لا اعرف..

هرع الى جهاز الراديو وكان ينشد "الله اكبر فوق كيد المعتدي" ذلك النشيد المحبب اليه عندما كان فدائيا في مصر ابان العدوان الثلاثي الغادر على مصر، وقد حفظه وانشده في مناسبات، لحظات استمع الى فتاة لا علاقة لها بالعمل الاذاعي ولا صوت او صورة، تدعى (هناء العمري) زوج (علي صالح السعدي) امين سر حزب البعث العربي الاشتراكي انذاك، وهي تطنطن بالبلاغات الحماسية، التفت الى سامي وقال:

-لقد عملوها..لنترك الدار حالاً.

ثلاثة ايام طويلة مرت عليه وهو سجين دار (العمة) في شارع اصفر بالكرادة، الشارع الذي عرفه متمردا ومتظاهرا قبل سنوات يحتضنه من جديد، لا متمردا أو ثائرا ، بل نزيل غرفة مظلمة في احد مشتملاته، يستمع الى بيانات وتعليمات متلاحقة صادرة من اذاعة الكويت باسماء الشيوعيين والديمقراطيين والقاسميين وعناوينهم تدعو فيها افراد الحرس القومي الى اعتقالهم ، لقد قتلوا الزعيم قاسم وهو في الزي العسكري الذي لم يتركه منذ اليوم الاول للثورة، وفي جيب سرواله مئة فلس، قتلوه نتيجة سياسته التي اوصلته الى هذا المصير، سياسة "عفا الله عما سلف" وبسبب طيبته وابتعاده عن اتخاذ الاجراءات الحازمة والرادعة ضد اعداء الثورة والشعب، فامطر الانقلابيون انفسهم الذين عفا عنهم جسده للمرة الثانية بالرصاص.

عاش قاسم زاهدا بالحياة ومغرياتها ، لم يفتن بمباهجها ومظاهرها او يستغل مركزه وموقعه القيادي في الدولة، كرس جل حياته من اجل خدمة الشعب والوطن ومات بطلا وضحية لنزاهته واخلاصه، بحيث اعترف حتى اعداؤه في رؤيتهم بعد العشرين بذلك، وقتل الانقلابيون اعداء ثورة ١٤ تموز القدامى والجدد، وصفي طاهر، وماجد محمد امين المدعي العام للمحكمة وحسين خضر الدوري، عضو المحكمة وعبد الكريم الجدة، امر الانضباط العسكري، ومعه الملازم كنعان حداد، وطه الشيخ احمد، مدير الشرطة العام، وعشرات غيرهم من الضباط.

ومع اذاعة البيان رقم ١٣ سيئ الصيت الدموي، اغتيال وقتل الحرس القومي (أي اس اس) النازي الشهير، مئات الشباب المقاومين للانقلاب في الكاظمية وشارع الكفاح وحي الاكراد، وفي مناطق عديدة من العاصمة بغداد، والمدن الاخرى كالناصرية والبصرة وكركوك والموصل.

زحف الانقلابيون بدبابات رفعوا عليها صور عبد الكريم قاسم صوب وزارة الدفاع، واحتلوا الساحات العامة بحجة حماية الجمهورية، كان الضباط الشيوعيون والقاسميون الوطنيون ينعمون باجازة يوم الجمعة بعد ان شغل الضباط الانقلابيون اماكنهم في الوحدات العسكرية وباتت الاموال والمساعدات تنهال على الانقلابيين وغيرهم من الذين باعوا ذممهم وباتوا بلا كرامة وشرف وطني، لقد اغتالوا ثورة ١٤ تموز الوطنية نيابة عن الامبريالية ووفق مخطط اميركي حبكته وكالة المخابرات الاميركية كما اعترف بذلك لاحقاً، امين عام حزب البعث الذي قام مع القوى الرجعية بالانقلاب الاسود.

اذاعوا اسماء التشكيلة الوزارية، فكانت تشكيلة عجيبة غريبة، البعثيون احتكروا رئاسة الوزارة (احمد حسن البكر) والداخلية (علي صالح السعدي) الدفاع (صالح مهدي العماش) الخارجية (طالب النقيب) التخطيط (حازم جواد) ، القوميون المحافظون مثلهم (عبد العزيز الوتاري) للنفط، القوميون الناصريون ، مثلهم احد ضباط تموز ووزرائها (ناجي طالب) ، (مهدي الدولعي) وزيرا للعدل، وصاله كبة، واللواء (فؤاد عراف) وزيرا للدولة.

× × ×

وقفت (العمة) المضطربة في باب الغرفة وهي تتوجس خيفة من ان تصارحه، بل عقدت الدهشة لسانها، حين اشارت بيدها المرتعشة الى باب المشتمل الخارجي، ادرك على الفور، ان دوره قد جاء بعد ان ظلوا يبحثون عنه، خرج اليهم وكان قد اعد للموقف عدته، فشاهد احد الصبيان يشهر المسدس في وجهه ويأمره بركبوب سيارة "شوفرليت" ايضا بيضاء كانت تقف على بعد خطوات من الباب الرئيس للمشتمل الصغير، لمح في داخل سيارة الاعتقال ، اخاه (كمال) والى جانبه الفنان (عبد الواحد طه).

خنقت العبارات كمال وهو يؤكد له بأن الحرس القومي اجبره على كشف مخبئه ، امسك بيد اخيه وهمس في اذنه: لا تنفعل يا عزيزي، اليوم افضل من امس.

وبالفعل كان اليوم افضل من صبيحة الانقلاب.

قال له احد البعثيين، بعد ان ضمهما سوية، موقف الامن العام ببغداد، ان الاوامر انذاك كانت قد صدرت بقتله فورا اينما وجد وفي أي وقت ، فقد ذهب الى مقر جريدة (البلاد) كل من (جوزيف شاكر)، و(مهدي شمس) الذي كان طباعا في الجريدة وهما ضمن فرق القتل في حزب البعث، واعضاء نقابة عمال المطابع، لتنفيذ امر القتل بحقه دون سؤال او جواب، ومن حسن الحظ، كما اعترف بذلك جوزيف شاكر، الذي عينه الانقلابيون مدير ناحية القوش في شمال العراق، وتم طرده بعد تهديده بالقتل من قبل اهالي المنطقة المعروفين بولائهم لثورة تموز والشيوعيين ولم يمض على تسلمه الموقع سوى خمسة ايام حتى اعترف بأنه سعيد لعدم تواجده في المبنى انذاك، بعد احتلاله من قبل الحرس القومي، حيث اخبرنا احد العمال في المطبعة، بأنك جئت مبكرا وتركت الجريدة قبل وصولنا بدقائق، أي في الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة.

كان هذا الحديث صريحا وصحيحا.

فسلم من رصاص عمال المطابع، ولكنه وقع اسيرا بيد الحرس القومي ، موقوفا في سجن العساكر.

في نادي (النهضة) الرياضي في منطقة الزوية بكرادة – داخل تشابكت ايادي الاخوة الثلاثة، ولو كان رابعهم (بديع) في بغداد، لاصبح الفرسان الاربعة رهائن بيد انقلاب شباط الاسود، فبديع لم يشمله الاعتقال، بل لحقه الطرد من السفارة العراقية في واشنطن التي كان يشغل منصب السكرتير الاول فيها، اوقف مسؤولو النادي الثلاثة امام جدار عال، يقابل كل واحد منهم، حارس قومي يمسك بغدارة "بور سعيد" لحراستهم او لتنفيذ حكم الاعدام بهم، كما تخيل من منظرهم ومن الموقف الملتهب انذاك، الذي عبرت عنه "هسيتريا" الانقلابيين وهم لايصدقون بأنهم اطاحوا بالثورة وسيطروا على البلاد، وقاموا بتصفية واعتقال الشيوعيين الذين كانوا من القوة بحيث يهابهم الانقلابيون انفسهم ، لمح زميله السابق في كلية بغداد (منذر زارة) وطلب محادثته ، الا انه تنصل حتى من معرفته وهو صديق عزيز، لم يعرفه بعثيا ، بل جارا في شارع اصفر بالكرادة.

جاءه بعد لحظات ، مسؤول الحرس القومي في النادي، صلاح عمر العلي، وقال له: واخيرا ظفرنا بك، هل تذكرني ، انا كنت معك في الثانوية الشرقية ، لقد كنت انت شيوعيا وكنت اتحين الفرصة للظفر بك، انا فرح وسوف "نتونس بك اليوم"!

لم يتحقق امل صلاح عمر العلي فقد سبقه ضابط شاب برتبة ملازم يطالب بسب اصحاب جريدة (البلاد) بناء على اوامر من وزارة الدفاع، ان العقيد خليل ابراهيم، المعروف بخليل رويتر، وكان نائبا لمدير الاستخبارات العسكرية في وزارة الدفاع، ومن محبي جريدة البلاد قبل واثناء الثورة، ارسل هذا الضابط الشهم بسرعة، وهو من القوميين القريبين من العقيد، لانقاذهم من الموقف وتسليمهم الى السجن رقم (١) في معسكر الرشيد.

امام بوابة السجن الكبير، ترجل من سيارة قيادة عسكرية ضابط برتبة رائد اسمه (حازم الصباغ) المعروف بحازم الاحمر، نسبة للون شعره "الطماطي" وكان بنفس الوقت، قاطع تذاكر في باب ملهى خاله في شارع ابي نؤاس اثناء العطل الرسمية، ترجل ليلقي نظرة على حمولة السيارة، استفسر عن هوية الركاب الموقوفين وعندما سمع باسم (سامي) انبسطت اساريره، وتحسس مسدسه، الاميركي الصنع وقال:

-اذن انت ابو اللاسلكي في سجن الرمادي.

راح يعربد وسيجارة "كرافن أي" تحاول ان تهرب او تسقط من بين براطيمه ، صرخ كثور مطعون ، وبدنه يتمايل من شدة الافراط بالخمرة:

-كيف كنت ترسل الشفرات من السجن

نظر الاخوة الثلاثة الى بعضهم ولسان حالهم يقول: مصائب قوم عند قوم مهازل.

صعق سامي، وتململ كمال في مقعده، بينما

راح هو يسترجع في ذاكرته قصة اللاسلكي:
كان سامي قد تلقى قرار الحكم عليه بالسجن سنة ونصف برباطة جأش، في الوقت نفسه كان المجلس العرفي الثاني يصدر احكاما مماثلة على سبعة متهمين من اعضاء اللجنة التحضيرية العراقية لمهرجان الشبيبة العالمي المزمع عقده في العاصمة الفنلندية، هلسنكي، من بينهم الفنان (احمد الخليل) المحامي (طلال عمر موفق)، والناشط الكردي، (خسرو توفيق) في الطريق ما بين مديرية الامن العامة في بغداد وسجن الرمادي، كان الباص الذي ينقل المحكومين، يتوقف في بعض النقاط للاستراحة ، في مدينة الفلوجة ، تجمهر حولهم الناس يستفسرون عن هوية الركاب الجدد ، لم تكن القضية معقدة..فالشرطي المرافق البسيط كان يجهل الهويات، ولكنه اراد ان يظهر ذكاءه للناس وانه عليم فهيم بأمور السياسة، قال بزهو: والله يا جماعة ، الصدق الصدق، هؤلاء الركاب هذه المرة من جماعة سكي.. هسكي.. لسكي.. لاسلك.
فتحولت (هلسنكي) بقدرة قادر من فم ذلك الشرطي البسيط الى (لاسلكي) في تقارير البعثيين في القدور السرية.. والا كيف فات الامر على ضابط عضو في مكتب عسكري لحزب سياسي ، نسي او تناسى حقيقة ان (البارت) حليف البعث في تلك الحركة التي اطاحت بثورة تموز؟
بعد مراسيم الاستقبال في ادارة السجن الرهيب، والمعروفة بمراسيم الضرب والسباب قبل تسجيل الاسماء، اقتادوهم الى غرف القاطع الاول، كلا على انفراد قاده نائب الضابط الحربي (محمد فرج) الى الغرفة رقم (٣) ، غرفة صغيرة مظلمة لا تزيد مساحتها على اربعة امتار مربعة امتزج ضوءها الرمادي باللون الخاكي لأربعين نزيلاً من العساكر ، لم يستطع ان يميز بين الوجوه السمر المحروقة بشمس تموز والعيون الغائرة في محادقها من شدة التعب والسهد، أي انسان يعرفه، الكل صامت والساعة كانت قد قاربت التاسعة مساء، انهارت قواه، لعدم تذوقه طعم الاكل والشرب من التاسعة صباحاً.
تقدم اليه بحذر مشوب بالقلق، فالنزلاء يجهلون هوية زائر الليل بلباس مدني، تقدم النقيب الحلاوي المعروف بشجاعته (احمد خلف) وبصوت يكاد ان يسمع ، قال:
-هل الاخ عسكري؟
-ضابط ام طيار؟
-...أنا فلان.
دبت الحركة في الغرفة الرطبة والمظلمة عندما تردد اسم الموقوف الجديد، حط الرجال بثقلهم على اكتاف احمد، الكل يتسابق لسماع اخبار المقاومة خارج الاسوار العالية، تشبثوا بالامل بعد ان فقدوا الثقة بالقيادة العسكرية في وزارة الدفاع، كانوا يتساءلون عن المقاومة والابطال الصامدين في الكاظمية وحي الاكراد والفضل وباب الشيخ، وهل سيحققون الانتصار على القلة من المتآمرين؟
استكمل الطغاة شد الطوق حول عنق الشعب.. او هكذا خيل لهم، لقد قتلوا (جلال الاوقاتي) وعددا من الضباط الشرفاء ومن مختلف مراتب الجيش ، وقتلوا وفتكوا خلال الايام الاولى من الانقلاب بما ينوف على خمسة الاف مواطن، وزجوا بالسجون والمعتقلات اكثر من ١٢٠ الف وطني من الشيوعيين والديمقراطيين والقوميين والقاسميين من الضباط الاحرار، وحولوا الساحات والملاعب الرياضية ودور السينما والعديد من الدور ومراكز الشرطة الى معتقلات ومراكز تحقيق ومسالخ بشرية، كانت تجربة انقلاب شباط في الحقيقة تمرينا قامت به المخابرات الاميركية، لتطبيقه بعد ١٠ سنوات، في تشيلي ضد حكومة الائتلاف الوطني (الليندي) من حيث المخطط والتنفيذ وسير الاحداث.

× × ×

مر عليه الاسبوع الاول والزنزانة التي احتضنته تسجل احلى الذكريات واسوأها، عرف انذاك معنى الصمود واليأس عبر الامتحان العسير الذي يؤديه الشعب العراقي، انقسم نزلاء الزنزانة الى فريقين: جسد الاول معنى الصمود في اروع صوره، والابطال يرفضون كل البدائل التي يرون من ورائها تزييف حقيقة ما جرى لثورة تموز على يد الذين فجروها وقادوها، او الذين استثمروها ووأدوها، واظهر الفريق الثاني ، اليأس في ابشع معانيه ، والضعفاء يستسلمون لقتلة الثورة الذين اغتالوها قبل ان تصبح ثورة الشعب بأسره.
كان الصمود من نصيب ابطال اعطوا للاجيال اللاحقة اروع الامثلة في الدفاع عن الوجود، والتمسك بالقيم والمبادئ الخيرة، وكان اليأس من نصيب الضعفاء الذين يشبهون القناني الفارغة، ان وضعتها في الهواء، سقطت وتهشمت.
ان ما جرى داخل السجن رقم (١) صورة مصغرة لما جرى داخل اسوار المعتقلات الرهيبة التي زرعها الانقلابيون في كل ارجاء البلاد.
تساقط مئات الشهداء، في اقبية التعذيب وسراديب (قصر النهاية) سيئ الصيت والنادي الاولمبي وخلف السدة ومقرات الحرس القومي، حتى مقر جريدة (البلاد) تحول الى سجن رهيب ، اصابوا المئات بعاهات مستديمة، فاجهزوا عليهم ودفنوهم في مقابر جماعية.
في ابي غريب تفننوا بالتعذيب الجسدي والنفسي وفق اساليب مستوردة من ملفات الجستابو ، هتكوا اعراض المعتقلات في اكثر من مدينة في الجنوب هددوا النساء والشيوخ من اهالي السياسيين بالقتل او الاغتصاب امام الموقوفين الذين يخضعون للتعذيب ان أصروا على عدم الاعتراف.
كان يتشبث صباح كل يوم بشباك زنزانته المطل على حديقة السجن الكبير ينظر عبر الاسلاك الشائكة حيث الشارع الطويل يمتد ويمتد، وهو يشكو الوحدة، لعله يلمح (سعاد) او لعلها تلمحه، فتعرف انه ما يزال على قيد الحياة خلف الاسوار العالية كانت زقزقة العصافير تبعث في نفسه الشجون والذكريات، وهديل الحمام يحفر في قلبه الكبير حب الوطن وعشق الحرية، بينما كانت قرقعة السلاح الاسود تثير في نفسه مشاعر الحقد على كل من شارك في صنع هذا الفصل الاسود من تاريخ النكسة، نكسة كل العراقيين والعرب جميعا.. اجل نكسة ١٩٦٣ في العراق كانت الفصل الاول من النكسة العربية العامة عام ١٩٦٧ وأنى للعرب ان يحاربوا أو ينتصروا اذا كان نصفهم يعادي نصفهم الآخر؟
تطلب منه الموقف داخل الزنزانة ان يظهر الشجاعة والصمود مقرونين بالتحدي لجبروت السجان.. لكن الدموع كانت تتساقط برغم ارادته ، فيدعها تنساب كأن الزمن ينساب يعد اليوم تلو الاخر، في ظرف كان للوقت اهميته.
في الفجر وفي الظهيرة ، بل وبعد منتصف الليل، تقرقع ابواب الزنزانات ليخرج منها بطل لايعود ، او ليعود بطل يئن من عذابات جراحه لتتلقفه ايادي الرفاق ويعيدون ما بدأوا قبل لحظات مع معذب آخر ان لم تعفه الشهادة.
كم كان صوت السجان كريها ممجوجاً وهو يزعق:
-..انهض يا شيوعي.تحقيق.
نظر (حميد) الى النقيب (احمد) وقال له:
-الا يتعب هؤلاء المحققون؟
ابتسم احمد وهو يرتل بصوت الرجولة والثقة.
-انهم لا يتعبون طالما نحن لانتعب او نمل يا رفيق.
يترامى من بعيد هدير مكتوم، ويردد نزلاء الزنزانات من جديد ترانيم التحدي والصمود.
وقبل ان ينتهي المنشدون، يفتح باب الزنزانة ويدحرجون احدهم مضرجاً بدمائه وينادون على النقيب احمد.
صرخ المحققون في وجه احمد:
-لماذا تكذب علينا؟
اجاب بهدوء:
-نسيت الاسم.
-هل هو في تنظيمك؟
-نعم.
عند عودته ثانية الى الزنزانة ، سأله بعد ان كان يقص عليه ما حدث باستغراب:
-لكن (محمد) مستقل؟
-انا اعرف ذلك.
-لماذا اذن ادخلت اسمه في تنظيمك؟
-تكتيك ..تكتيك.
تدخل الملازم (اديب جورج) ليضيف:
-ان تجربة احمد مع الجلاوزة اكثر من تجربتي، وانا اتكتك حول تنظيم (المسيب).
رد عليه بقسوة:
-ولكن هذا غير صحيح.
اجاب اديب وهو يلقي ببصره خارج الزنزانة ليتأكد من عدم وجود احد من الجلاوزة:
-لقد جعلناهم يعيدون رسم شجرة الاعترافات عشرات المرات.
-والاعترافات، ما مصيرها؟
-اختلط الحابل بالنابل ، وتاهو..
عندها ، تدخل المقدم(خليل) وقال بنبرة ملؤها ثقة وايمان:
-ابتدعوا فكرة الشجرة، فرسمت منذ الخط الاول مشوهة، ان سلام عادل ورفاق، محمد حسين ابو العيس ، صالح العبلي، جورج تلو، حسن عوينة، عبد الرحيم شريف، متي الشيخ، جمال الحيدري، وعشرات غيرهم، جعلوا المحققين يرسمون اغصان الشجرة بلا اقلام والاوراق تتطاير في الهواء.. وكما تتساقط اوراق الشجر في فصل الخريف، تساقطت هذا العام في شهر شباط.
ستنبت شجرتنا من جديد خضراء..
تربة العراق وفية معطاء..

× × ×

لم يشعر بالغربة بعد مضي اربعة اسابيع على اختطافه وابعاده عن الزوج والطفل (رافد) وعن الوالدة المسكينة التي تشعر بالوحدة القاتلة لافتقادها الاولاد الثلاثة وراء القضبان، وبعد (بديع) عنها في واشنطن، ان احفادها رافد وباهر وجهاد وهالة وهناء يضغطون عليها ويطالبون بعودة ابائهم او الذهاب اليهم في سجونهم. لقد اعتادت الام على مثل هذه المواقف، اما هم الاطفال ، فابرياء لايعون ماذا حل بالبلد من مصيبة وما هو مصير الاباء الذين يفتقدونهم مع عشرات الالوف من الناس الطيبين، كانت الوالدة تفكر بمصير اولادها بعد ان مزقتهم حاصودة شباط، بل بمصير احفادها ان فقدوا الابوة مرة واحدة، كل الذي استطاعت ان تفعله ، هو جلب الزوجات والاحفاد الى دارها الواسعة في عرصات الهندية واقتسام لقمة العيش المتأتية بصعوبة من تقاعد زوجها الوزير السابق، وهو راتب ضئيل ، ولكنه يساعد في تمشية الامور بـ "الصلوات" وببضعة دنانير من راتب (اديبة) زوجة سامي.
لم يشعر بالغربة برغم الظروف القاسية التي تمر بها العائلة الكبيرة، ولم يحاول ان يفكر بمصيره ومصير تلك العائلة بعد ان طالت الة شباط رقاب الاخوة الثلاثة، بل كان ينظر الى وجوه مئات الضباط والشباب الذين تحتضنهم غرف السجن رقم (١) فيجد الامل والتفاؤل يطغيان على القلق والتعذيب والمصير لكل هؤلاء.. ويزداد اصرارا على التحدي والصمود، كانت احاديثهم وبطولاتهم كافية لملء الفراغ في وحشته واشغال كل تفكيره حتى لاتفوته اية اشارة يسجل فيها تاريخ المستقبل. كان ينهض مبكراً كعادته، فيجد الكل نياماً الا (مكرم الطالباني) مستلقيا على ظهره وانامله تداعب عجينة الخبز الاسود(صمون الجيش المعروف) ليصنع منها ما تبقى من حجر الشطرنج، انه لا يكف عن نحت تلك الاحجار الجديدة بعد ان تكون سابقاتها قد سحقتها جزمة آمر السجن، ليكون البديل جاهزا في يوم جديد. لقد منع السجانون لعبة "المحيبس" لكنهم عجزوا عن منع لعبة الشطرنج ، طالما (مكرم) يتحداهم ويقضي الساعات الاولى من فجر كل يوم في صنع المزيد من ادوات اللعبة.
فاذا ما حطم السجانون وجبة منها، يكون البديل جاهزا عند الطلب ، لقد اسهم (مكرم) في طرد الضجر واليأس اشهرا، كما اسهم في زرع الصمود في قلوب العشرات من الضباط وهو يغرس الثقة في نفوسهم ويسلحهم بالايمان والشجاعة لتحدي الطغاة.
في غرف المسالخ نالتهم السياط وادوات التعذيب، فينقذون انفسهم وتنظيماتهم.
يقف مع (عبد الامير الرواف) الموظف في شركة الخطوط الجوية العراقية، منتصبا امام شباك الغرفة، وهو الذي لايكف عن الكلام طالما تبقى اسئلته بلا جواب مقنع، انه لا يخفي عدم القناعة بما يسمع بل يخرج الاجوبة مغلفة بوقائع ولسان حاله يقول: من فمك ادينك يا..
يسأل الرواف مكرم الطالباني:
-ولكن / لماذا لم تكن لدينا خطة مضادة؟
-كانت هناك خطة طوارئ.
-هذا غير صحيح.
-وما هو الصحيح؟
-لا اعرف..ولكن بالتأكيد لم تكن لدينا خطة طوارئ..

-اعتقد ان القائمين على الخطة لم ينفذوا واجباتهم.
يستدرك عبد الامير:
-هذا ما اقصده، فلو كانت هناك بالفعل خطة طوارئ ، لما اعتقلوا المسؤولين عنها اولا، بل لأخذت طريقها الى التطبيق، وكنا سننجح في ضرب المؤامرة لأننا كنا نمتلك كل القوة.
قاطعه مكرم:
-ربما نمتلك القوة البشرية، ولكننا لم نمتلك السلاح.
تدخل في الحديث، وقاطعهما ، وهو يشير الى المكان الواسع في السجن: القاطع الاول وقاطع الوزراء، والمدراء العامين ومن ثم القواطع العديدة التي اطلق عليها قواطع "العمية" نظرا الى كثرة عدد الغرف الصغيرة والمظلمة ليل نهار.. وبجموعها ، كانت تضم اكثر من الف ضابط وطني، معروفين بنزاهتهم وكفاءتهم العسكرية، ثم قال لهما:
-اين كان هؤلاء العساكر؟
سكتوا ، عندما نادى احد الحراس: الارزاق يا جماعة.
نهض الموقوفون على صوت السجان وتراكضوا الى الشباك لاستلام المقرر كل يوم: صمونة سوداء واحدة ورأس بصل اخضر، او صحن عدس اسود مملوء بالحجر الصغير بسبب عدم تنظيفه جيدا، في المساء ، يأكلون من "القصعة الجاهزة" ، رز متيبس، و"مرق عبارة عن ماء بصل وردي اللون، تسبح فيه قشور البصل مع عظام متناثرة لا اثر للحم فيها.
بعد الفطور "الدسم" يسير الطابور رقم (١) الى المغاسل لقضاء حاجتهم الطابور، يتكون من نزلاء غرفة رقم (...) وعددهم الاعتيادي اربعون، الوقت المسموح لغرف الحمام خمس دقائق فقط، يعود القسم الاكبر من الموقوفين دون قضاء الحاجة لضيق الوقت والازدحام ونتيجة الضرب والشتائم ، اضافة الى نوعية ما يتناولونه من الرز اليابس والبصل الممزوج بالاوساخ والاحجار.
تقفل الابواب من جديد لجميع غرف القاطع الاول بعد انتهاء الوقت، ينظر الموقوفون الى القاطع الثاني ليشاهدوا النزلاء من الوزراء والمدراء العامين والمسؤولين الكبار ينعمون بالشمس وبقضاء حاجاتهم لوقت طويل، كما يتسنى لهم المشي في حديقة القاطع، يحقد الضباط اكثر على اولئك الذين تسببوا في الكارثة، انهم المسؤولين عن ردة شباط الذين سلموا الثورة على طبق من ذهب الى الانقلابيين ، فاستحقوا العناية والرعاية.

عن كتاب الوجدان

عبد الكريم قاسم والمهداوي لحظة اعدامهم

سبعة واربعون عاماً على مجزرة 8 شباط

أضواء على دور المخابرات المركزية الاميركية في الانقلاب الدموي

خمسة آلاف قتيل في ثلاثة ايام

لم يعد سراً منذ وقت طويل، الدور المحوري لوكالة المخابرات الاميركية (سي.اي.أي) في تنفيذ انقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣ الدموي، فقد اعترف احد قادته ، علي صالح السعدي في وقت مبكر بأنهم جاؤوا الى السلطة "في قطار اميركي". لكن الكثير من خفايا هذا الدور لم يعرف الا في السنوات الاخيرة ، الان وبعد (٤٧) عاماً على هذا الحدث الدامي ، الذي ترك بصماته على مسار الحياة السياسية في بلادنا، تسلط "رسالة العراق" الضوء على هذه الحلقة الغامضة في انقلاب ٨ شباط المشؤوم وتعرض بعض ما توفر من معطيات وحقائق استناداً الى مصادر عدة.

كشف الكاتب والصحفي المعروف محمد حسنين هيكل رئيس تحرير صحيفة "الاهرام" انذاك، استناداً الى الملك حسين ان "جهاز تجسس اميركياً" كان على صلة بحزب البعث في العراق نقل الى الاخير، عبر اذاعة سرية، اسماء وعناوين الشيوعيين العراقيين كي يقوم الانقلابيون وزمر "الحرس القومي" سيئ الصيت باعتقالهم وتصفيتهم جسدياً.

ومن المؤكد ان الجهاز الذي جرت الاشارة اليه هو وكالة الـ"سي.آي.أي" وشملت تلك التصفيات ايضاً الكثير من الشيوعيين الذين كانوا لحظة وقوع الانقلاب في السجون والمعتقلات حيث احتجزوا في عهد عبد الكريم قاسم.

وقدرت مصادر الحزب الشيوعي عدد الاعضاء والمؤيدين الذين قتلوا في الايام الثلاثة الاولى من الانقلاب، اثناء تصديهم للانقلابيين أو في عمليات الملاحقة، بحوالي خمسة آلاف شخص. (المصدر "الثقافة الجديدة" العدد ١٣٨، شباط ، عام١٩٨٢، ص٧٨ -٨٢) كما اشار احد المصادر الى دور غامض ايضاً في (اطاحة قاسم) لعبته المخابرات الفرنسية – "جهاز التوثيق الخارجي لمكافحة التجسس". (مجلة "ذي ميدل ايست"- آب عام ١٩٨١، ص٣٣).

وتبين لاحقا ان المصدر الاساسي للمعلومات التي استندت عليها القائمة باسماء الشيوعيين والديمقراطيين وبثتها اذاعة سرية من الكويت، هو (وليام ماكهيل) ، عميل وكالة المخابرات المركزية الاميركية الذي كان يعمل تحت غطاء مراسل لمجلة "تايم" الاميركية وهو شقيق (دون ماكهيل) الذي كان آنذاك ضابطاً رفيع المستوى في الوكالة في واشنطن ويشار الى ان المصدر الذي كشف اسم ماكهيل وهو مراسل سابق آخر لمجلة "تايم".

حصل ماكهيل على الاسماء في بيروت من ضابط سابق في جهاز الامن العراقي في العهد الملكي كان نائباً سابقاً لبهجت العطية مدير الامن آنذاك الذي اعدم بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨، وكان بعض تلك المعلومات قديماً، ويجد ذلك تفسيره في شمول عمليات القتل اشخاصاً لم يكونوا اعضاء في الحزب الشيوعي عند وقوع الانقلاب، لكن برغم ان ماكهيل قدم القائمة الاطول، فأنه لم يكن المصدر الوحيد، وكان بين المصادر الاخرى ضابط كبير في الاستخبارات المصرية، وعناصر بعثية في لبنان، ومجموعة صغيرة يقودها صدام حسين اثناء وجوده في القاهرة، اضافة الى اشخاص آخرين، ولا يستبعد ان تكون بعض اسماء الضحايا أدرج على القائمة لتصفية حسابات وثارات شخصية.

وطلبت الوكالة ثمنا في المقابل، فحسب هاني الفكيكي الذي كان احد المشاركين البارزين في الانقلاب، سلم الحكام الجدد لويلهام ليكلاند، مساعد الملحق العسكري في السفارة الاميركية في بغداد واحد ضباط وكالة "سي.آي.أي" اسلحة روسية من ضمنها طائرة "ميغ ٢١" ودبابة من طراز "تي-٥٤" وصاروخ "سام" كي تتمكن الولايات المتحدة من تقويم فاعليتها ، وكان ليكلاند موجوداً ايضاً في القاهرة عندما اطيح بالملك فاروق.

وفي نيسان (ابريل) عام ١٩٦٣ ، نقل اميركيون جواً، من تركيا وايران الى كركوك ، اسلحة اسهمت في تمكين الحكام من محاربة الشعب الكردي.

وينقل الكاتب المعروف سعيد ابوريش عن الدكتور احمد الجلبي، احد قادة "المؤتمر الوطني العراقي" حالياً، قوله ان المنافع التجارية التي جناها الاميركيون لم تكن اقل اهمية فقد منحت شركات اميركية مثل بارسونز، وبكتيل وموبيل ، وغيرها عقوداً وامتيازات.

واصبح روبرت اندرسون ، وهو وزير خزانة سابق في عهد ايزنهاور واصبح في وقت لاحق مديرا لشركة (واجهة) لـ سي أي أي تدعى انترسر تألف مجلس ادارتها من عملاء للوكالة باستثناء جاك ماكرين ، اصبح الشخص الابرز في العلاقات التجارية بين اميركا والعراق، وكان التعاون بين ويليام ليكلاند وصالح مهدي عماش وضباط اخرين من قادة الانقلاب مكشوفاً وكاملاً.

عبد الرحيم شريف

عثمان البراك

فاضل الصفار (١٦ سنة)

كوكبة من رفاق الحزب الشيوعي العراقي استشهدوا تحت التعذيب الوحشي للانقلابيين القتلة

الانقلاب والنفط

جاء في البيان الاول الذي بثته اذاعة بغداد باسم "المجلس الوطني لقيادة الثورة، صباح ٨ شباط ان الحركة الجديدة ستعمل على زيادة قدرتنا المالية وضمان ان يستمر تصدير النفط"، واعلن قادة الانقلاب ان حقوق شركات النفط ستحترم وسيسمح لها ان تواصل عملياتها، هكذا، اصبح واضحاً من البداية ان الانقلاب يحظى بمباركة وتأييد شركات النفط الاجنبية وكانت شركة نفط العراق (IPC) رفضت القانون رقم ٨٠ (كانون الاول ١٩٦١) الذي قصر حقوق امتياز الشركة بالمنطقة التي تخضع فعلاً للاستثمار وهي لا تزيد على (٠,٥) في المئة من مناطق الامتياز الاصلية التي كانت تغطي عمليا كل العراق، واحتفظ للدولة العراقية بكل الحقوق في الـ ٩٩,٥ في المئة المتبقية من اراضي البلاد.

ومنذ انهيار المفاوضات بين حكومة قاسم وشركة نفط العراق، في تشرين الاول ١٩٦١ كانت شركات النفط تناور لالغاء القانون ٨٠ وكان احد اهدافها الرئيسة استعادة حقل شمال الرميلة حيث اكتشفت كميات وفيرة من النفط، ولكنها تركت من دون استثمار وسعت في الوقت نفسه الى ابقاء حجم الانتاج النفطي في عامي ١٩٦١ و١٩٦٢ دون تغيير، بينما كان انتاج البلدان الاخرى المصدرة للنفط يرتفع بسرعة وادى ركود انتاج النفط الى ركود في عائداته، وخلق بالتالي مشاكل اقتصادية للحكومة العراقية.

بعد وقت قصير من الانقلاب ، استؤنفت المفاوضات من قبل الحكام الجدد، وكان لدى شركات النفط آمال كبيرة في التوصل الى اتفاق مؤقت ، ولكن برغم التوصل الى حل وسط مؤقت في حزيران ١٩٦٣ ، تبين ان القانون رقم ٨٠ خطوة لايمكن إلغاؤها، فشعبية القانون وسط العراقيين جعلت الحكام البعثيين لايجرأون على الغائه وكجزء من الاتفاق المؤقت ، رفعت شركة نفط العراق، حجم انتاج النفط حتى بلغت عائداته، ١٨٦,٢ مليون دينار خلال الاشهر التسعة الاولى من عام ١٩٦٣ ، أي بزيادة ١٣,٨ في المئة بالمقارنة مع الفترة ذاتها، من ١٩٦٢ واسهمت هذه الزيادة في التعويض عن الانخفاض في الدخل القومي من قطاعات اخرى من الانتاج المحلي، خصوصا في الانتاج الصناعي والزراعي.

من دون لف او دوران (5) وقفات مع بيان رقم (13) احمد سالم الانباري

وقفة رقم (1)

البيان رقم (١٢) اصدره انقلابيو الثامن من شباط عام ١٩٦٣، وهو بيان لايكفي استباقه او تأثيثه (كما يقول التشكيليون) بعبارة (سيئ الصيت) لان صيته اكثر من سيئ ليس لكونه ارتبط ببركة دم وولد على ضفافها قبل سبعة واربعين سنة، بل لأنه تواصل كبرنامج للسلطة منذ ذلك الوقت، ففي كل عام يحتفل اصحابه ببركة دم اخرى من دماء الشيوعيين، فهو بهذا المعنى ليس حدثاً في الماضي، بل حدث يتناسل في سجل السلطة، حتى يكف دم الشيوعيين العراقيين عن ان يكون رخيصاً، وان يهدر بدون عقاب.

وقفة رقم (2) يقول بيان رقم 12 ما يلي:

نظرا لقيام الشيوعيين العملاء، شركاء عبد الكريم قاسم في جرائمه بمحاولات بائسة لاحداث البلبلة في صفوف الشعب، وعدم الانصياع الى الاوامر والتعليمات الرسمية فعليه يخول آمرو القطعات العسكرية وقوات الشرطة والحرس القومي بابادة كل من يتصدى للاخلال بالامن، واننا ندعو جميع ابناء الشعب المخلصين للتعاون مع السلطة الوطنية بالاخبار عن هؤلاء المجرمين والقضاء عليهم".

تلزم امانة البحث هنا ان نتوقف عن ست كلمات هي: (العملاء) ،(البلبلة) ،(الاوامر) ، (الحرس القومي)، (ابادة) ،(القضاء عليهم) فقد اصبحت هذه الكلمات مفاتيح لثقافة القمع والملاحقة لقطعان مغمضة العيون والافئدة.

وقفة رقم (3)

افتتح بيان رقم ١٣ ترجمته بغارات على احياء بغداد والمدن الكبرى، فاستقبلت احياء الاكراد في بغداد، والمحيط في الكاظمية والشاكرية في ضواحي العاصمة، والجمهورية في البصرة، وبيوت الحجر الواطئة في الموصل، وامام قاسم في كركوك مجموعات مسلحة متعطشة للدماء.. ثم فاض نهر الدم في كل اتجاه.

وفي المعتقلات التي ازدحمت بالشيوعيين والديمقراطيين والمستقلين معا من العرب والكرد والتركمان والآشوريين تكونت جبهة وطنية يبدو انها كانت مؤجلة التشكيل حتى هذا اليوم، فقد تعذر قبل هذا، ان تستعيد جبهة الاتحاد الوطني التي حلت بعد شهور من قيام ثورة تموز انفاسها، وتناثرت اشلاؤها ، غير ان الفاشلين، وهذه فضيلتهم الوحيدة – حشروا ممثلي الجبهة في علبة القمع وضيقوا على سقفها لتصهرهم في موقف واحد.

وقفة رقم (٤) بعد اشهر قليلة من الانقلاب الدموي تخاصم جناحا الانقلاب (البعثي – القومي) فأكلت السمكة الكبيرة اختها الصغيرة (لتتوسع جبهة الشعب بممثلي ضحايا جدد) وانفرد حزب صدام بالسلطة ليجد نفسه بعد عشرة اشهر من الانقلاب متناحر الاجنحة، وقد اتضح ان القطار الاميركي الذي حمل الانقلابيين في ذلك اليوم الى وزارة الدفاع ضاق بهم ويئس من امكانية الاستقواء بهم، فتركهم في اقرب محطة يتقاتلون ليختار آخرين من هامش المشهد ذوي صفحات معينة وروح متعطشة للدماء ومسكونة بالمغامرات والطموحات الشخصية العمياء، فكان صدام حسين الذي اعاد الثقة لسائق القطار ليعود به الى وزارة الدفاع مرة اخرىن هراوة للشعب العراقي الخارج عن الطاعة، ولجيران العراق اذا ما خرجوا على النص.

وقفة رقم (5)

الدور الذي لعبه الزعيم عبد الكريم قاسم في تفجير ثورة تموز وفي تسهيل الطريق للانقلابيين ليس موضع شك، لكن الامر يحتاج الى رؤية مركبة، تتجه الى بحث الاختلال في النظام السياسي العراقي ، ووعي الجماعات السياسية لدور السلطة، ليس في كونها تراثاً سياسياً ينفع طلاب المدارس بل ولان الامر يتعلق بالمستقبل الذي وقف فيه العراق على مفترق طرق، فاما ان يواصل الطريق القديم (التعطش للسلطة) ليستقيل – في نهاية الامر – من الخارطة، واما ان يحل منهج جديد من الوعي الدستوري وطريق التسامح والتعددية والاحتكام الى صناديق الاقتراع.

بين هذا وذاك احتمالات العودة الى شباط الاسود واردة، والخطر الحقيقي ان البعض –في السلطة وخارجها – يحاول اعادة صياغة البيان رقم ١٣ بلغة اخرى.

نماذج من وثائق وزارة الخارجية البريطانية

سري
من وزارة الخارجية البريطانية الى السفارة في عمان 6 شباط 1963
-البرقية رقم 173
العنوان: "المؤامرات ضد قاسم".

١-السفارة الاميركية عرضت علينا برقية من السفير الاميركي في بغداد تقول ان قائدا عشائريا متورطا في مؤامرة مؤيدة للهاشميين اخبر الاميركيين ان وصفي التل ابلغه ان الاميركيين والبريطانيين سوف يدعمون أي حركة ضد قاسم..

٢-نأمل قريباً في ترتيب تبادل وجهات نظر غير رسمية مع وزارة الخارجية الاميركية حول المؤامرات الهاشمية ومؤامرات الجمهورية العربية المتحدة ضد قاسم".

× × ×

سري وشخصي
من السفارة البريطانية في بغداد الى وزارة الخارجية 10 تشرين الثاني 1962 -البرقية رقم 62/1019/9 جي

"..نعتقد ان المؤامرات تستمر في الاهتمام بشكل رئيس بالتخلص من قاسم المتآمرون على كل حال ليس لديهم حتى الان فكرة عمن ينبغي ان يخلف قاسم، وليس هناك قادة حقيقيون، الاتجاه الارجح الذي يمكن ان يأتي التغيير منه هو الجيش..على كل حال لابد ان اضيف بأن المرء لايمكن ان يستبعد احتمال حدوث حركة مفاجأة وغير متوقعة من مجموعة متآمرة مضمونة".

(السير) روجر آلن.

× × ×

من السفارة البريطانية في بغداد الى وزارة الخارجية 31 كانون الاول 1962
-البرقية رقم 62/1019/12 جي "

٢-..معظم الروايات تتعلق بما يسمى "مجموعة شابة" ويقال انهم ذوو مشاعر محافظة معتدلة وانهم ميالون جداً الى الغرب مصادرنا كانت ممانعة جداً لذكر الاسماء.. ولكن جرت طمأنتنا الى ان المؤامرة درست بتفصيل وان اسماء اولئك المرشحين للمناصب الرئيسة قد تم اختيارها..".

"٣-ابلغنا ان احدى الصعوبات حتى الان هي الاموال ولكن هذه القضية في طريقها الى الحل الان".

× × ×

"عاجل /سري
من بغداد الى وزارة الخارجية - من السير روجر ألن مساء 9 شباط

هناك فرصة للاتفاق مع البعثيين حول النفط بشرط ان تكون شركات النفط مرنة، ولو نجح الاتفاق فربما سيقود الى زيادة كبيرة في الانتاج".
-احدى وثائق الخارجية البريطانية في الايام الاولى من الانقلاب.

1963 **-البرقية رقم 118 .**

"١- يبدو ان اطلاق الرصاص توقف تقريباً برغم ان حظر التجوال ما يزال ساري المفعول..

"٢-ما يمكن ان نقوله حتى الان ان النظام الحالي مشغول في تصفية أ-القاسميين - ب الشيوعيين والى هذا الحد فأنها في الاقل اشياء جيدة (برغم انه يجب بالطبع ان نتوقع صعوبات في المستقبل) ان الاشخاص الوحيدين الذين يمكن ان يستفيدوا في هذه المرحلة من محاولة اسقاطهم ربما هم الشيوعيون".

× × ×

×فوري / خاص
من بغداد الى وزارة الخارجية - من السير روجر ألن
مساء 11 شباط 1963 -البرقية رقم 138

"هـ -في الوقت نفسه، فأن سجل عدد من الاشخاص الاكثر نفوذا في الحكومة يمتاز بعداء شديد للشيوعية، والاذاعة تحث الناس على لجم الشيوعية ويبدو ان جزءاً من القتال الذي يجري موجه على اية حال ضد المتعاطفين مع الشيوعية..".

× × ×

سري
من السيد هيلر/ وزارة الخارجية الى السيد ج.ب. روبي /السفارة البريطانية في بغداد

"١-مرفق نسخة من بحث يمثل محاولتنا الاولى لتقييم الاتجاه المحتمل للاحداث في العراق بعد الثورة، وتأثيرها على المصالح البريطانية في العراق والشرق الاوسط بشكل عام.

التطورات المحتملة:

٤-(أ) ليس من المؤكد تماماً اذا كانت الحكومة الحالية ستثبت تماسكها ومتانتها بالاضافة الى ذلك، هناك عوامل عدة تغذي عدم الاستقرار مثل المطالب الكردية واستياء الشيوعيين بسبب الاضطهاد الذي يعانونه".

(ب) ..النظام الجديد معاد للشيوعية بشكل واضح، وبرغم ان الشيوعيين حشدوا كما يبدو بعض الغوغاء في البصرة وفي بعض مناطق بغداد فانهم قمعوا بسرعة من قبل الجيش، وفي داخل الجيش نفسه تم استئصال الشيوعيين الذين يملكون قوة قليلة.

× × ×

من السفارة البريطانية في بغداد
26 **شباط عام 1963 -البرقية رقم**
63/9/10113

"١-في صباح يوم الثورة ٨ شباط مرة اخرى بعد الظهر اصدر الشيوعيون المحليون منشورات تدعو اعضاء الحزب لتسليح انفسهم والقتال تأييداً لنظام قاسم، وجالت حشود من الناس في الشوارع لبعض الوقت ثم تمت السيطرة عليها كليا من قبل الجيش وبواسطة الحرس القومي بعد فرض منع التجوال فقط ونتيجة لذلك، وايضا بالطبع بسبب التنافس القديم بين حزب البعث والشيوعيين اقدمت الحكومة الجديدة على اجراءات عديدة في محاولة لقمع الشيوعية المنظمة في العراق".

"٢-..هناك شائعات تنتشر بان كل كبار الشيوعيين قد اعتقلوا وان خمسين تم اعدامهم بهدوء.. وربما لاتوجد حقيقة في هذا الامر".

الحرس القومي و"قوات الصدمة" الهتلرية

من كراس تقرير من العراق -شباط عام ١٩٦٤

في الكراس الذي اصدرته اللجنة البريطانية للدفاع عن حقوق الانسان في العراق، في شباط ١٩٦٤ ، قالت عضوة البرلمان ليزلي هيل: "أنشئ الحرس القومي في الواقع على نمط يماثل الى حد كبير قوات الصدمة الهتلرية ، سوى ان عناصر الحرس القومي كانوا غير ناضجين وغير مدربين وحتى اقل مسؤولية فقد تم تجنيدهم في الاغلب على اساس العداء للشيوعية، وكان الحل الذي يقدمونه لكل مشكلة هو العنف".

نداءان للزعيم عبد الكريم قاسم

وجه الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم نداءين الى الشعب العراقي بصوته في اليوم الاول من الانقلاب، ولكن لم يجدا طريقهما للاذاعة ، وقد تضاربت الاراء حول مصير الكاسيتين اللذين حملاهما وهنا نصهما" :

النداء الاول

"السلام عليكم ايها الضباط السلام عليكم يا ابناء الشعب ايها الضباط ابناء الشعب ان نفرا من اذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والعسكريين من اذنابه يحاولون الانقضاض على جمهوريتنا، ولكن شعبنا المظفر، شعب ١٤ تموز، واقف لا نزال الضربات الخاطفة بهم، بأذناب العهد المباد والخونة".

ابناء الشعب ان النصر معنا واننا صممنا على سحق الاستعمار واعوانه فلا تلتفتوا الى الخونة الغادرين فأن الله معكم وسيعلم الدساسون، سوف يعلمون عندما نوجه اليهم الضربات الخاطفة اليهم وقد بادرنا لتوجيهها اليهم..ان الله ينصركم ابناء الخير الغيارى..

ايها الضباط اسحقوا الخونة والغابرين، اسحقوهم انني الزعيم عبد الكريم قاسم اقوى واشد عزما في سبيل الفقراء والنصر لشعب العراق المظفر".

النداء الثاني

"من الزعيم عبد الكريم قاسم الى ابناء الشعب الكرام والى ابناء الجيش المظفر، ان اذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والمفسدين الذين يحركهم الاستعمار لسحق جمهوريتنا، الذين يحاولون بحركات طائشة النيل من جمهوريتنا ولتقويض كيانها، ان الجمهورية العراقية الخالدة وليدة ثورة ١٤ تموز الخالدة لا تنسحق وانها تسحق الاستعمار وتسحق كل عميل خائن نحن نعمل في سبيل الشعب وفي سبيل الفقراء بصورة خاصة، وتقوية كيان البلاد، فنحن لا نقهر وان الله معنا.

ابناء الجيش في مختلف القطعات والكتائب والافراد..ايها الجنود البررة مزقوا الخونة اقتلوهم اسحقوهم انهم يتآمرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب ثورتنا، هذه الثورة التي حطمت الاستعمار وانطلقت في طريق الحرية والنصر وانما النصر من عند الله وان الله معنا، كونوا اشداء اسقطوا الخونة والغادرين ابناء الشعب في كل مكان، اسقطوا الخونة والغادرين وقاتلوهم في كل منعطف وفي كل زاوية انهم خونة، انهم اذناب الاستعمار والله ينصرنا على الغادرين، والله ينصرنا على الاستعمار وعلى اذنابه واعوانه، (الساعة الثانية بعد الظهر يوم ١٩٦٣/٢/٨).

×النصان مأخوذان من كتاب د. علي كريم سعيد "عراق ٨ شباط ١٩٦٣ "وجاء في هامش الكتاب (ص٧٨، ٧٩) ان النداء الاول تركه حامله المقدم جاسم العزاوي (أو مرافقه حافظ علوان). وبقي في اذاعة الصالحية بينما حمل الثاني الرائد سعيد الدوري كاتب خطاباته لاذاعته من مرسلات الحرية في سلمان باك ولم يصل الى هناك لان الدوري لم يكن بدرجة المسؤولية التي تصورها قاسم ، فقرر عدم المغادرة، واستند المؤلف في شرحه الى مقابلة مع يونس الطائي عام ١٩٩٥.

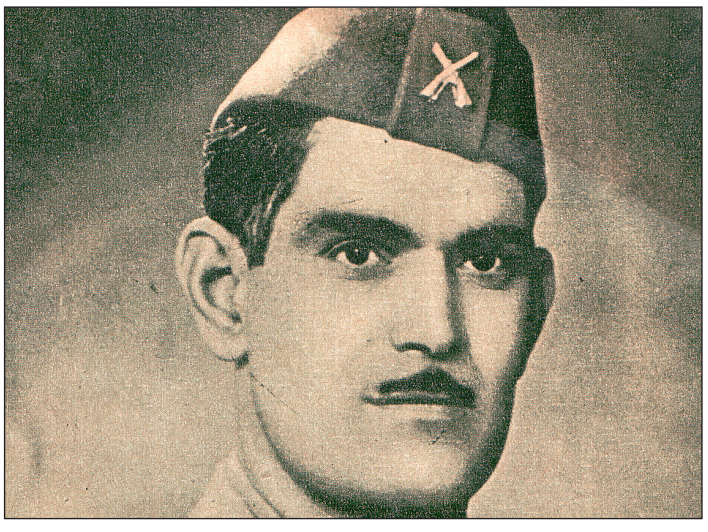

ملاحظة: يبدو واضحاً من اسلوب النصين ان الزعيم عبد الكريم قاسم قد ارتجلهما بسرعة

حملة التضامن العالمية

لعبت حملة التضامن العالمية مع الشعب العراقي اثر الانقلاب الاسود دوراً بارزاً في فضح الجرائم الوحشية للزمرة التي تولت الحكم، مما اسهم في تعميق عزلتها دوليا وفي العالم العربي وفي ٢١ شباط ١٩٦٣، اعلن الديمقراطيون خارج الوطن في صفوفها شخصيات ثقافية وسياسية بارزة ترأسها الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري.

وفي ايار عام ١٩٦٣ شكلت اللجنة البريطانية للدفاع عن حقوق الانسان في العراق وتولى رئاستها اللورد تشورلي واصبح النائب العمالي ويليام غريفيش سكرتيرا للجنة ، والروائية اثيل مانين امينة الصندوق وفي مؤتمر صحفي عقد في مجلس العموم في ١٤ من الشهر نفسه، اعلنت اللجنة نيتها جمع تبرعات لإرسال وفد لتقصي الحقائق الى العراق، وحثت الحكومة العراقية على تقديم الوف المعتقلين الى محاكمات اصولية او اطلاق سراحهم.

كما شكلت لجان تضامن في فرنسا وايطاليا، وطلبت برقيات الاحتجاج والاجتماعات العامة الحاشدة والتظاهرات التي نظمت في العديد من البلدان بالوقف الفوري للمذابح بحق الشيوعيين والديمقراطيين في العراق ونظمت حملات لجمع التواقيع على مذكرات موجهة الى الامم المتحدة ولجنة حقوق الانسان التابعة لها ومنظمة دول عدم الانحياز، بالاضافة الى زعماء الدول وشخصيات بارزة في ارجاء العالم.

وفضحت حملة التضامن ايضاً على نطاق واسع حملة القمع والابادة ضد الشعب الكردي التي شنها الحكام الفاشيون بعد بضعة اشهر على انقلابهم الدموي (في ١٠ حزيران عام ١٩٦٣).

من اقوال الصحف العالمية بعد الانقلاب

× صنداي تايمز" البريطانية -١٠ شباط ١٩٦٣ "انه اشبه بتحريض سافر على تنفيذ مذبحة تجعل (يوم القديس بارثولو ميو) اشبه بنزهة المدارس ايام الاحاد".
(يوم القديس بارثولو ميو" يرمز الى المذبحة التي شهدتها باريس بحق معتنقي المذهب الكالفني في ١٥٧٢بناء على اوامر تشارلس التاسع).

× "ديلي اكسبرس" البريطانية – ١٢ شباط ١٩٦٣ "تركت ورائي المئات من الاشخاص الذين لايحمل لهم المستقبل سوى فرق الاعدام رمياً بالرصاص".

× اللوموند "الفرنسية" – ١٤ شباط ١٩٦٣. "هناك حسب المصدر الافضل اطلاعا، ما لايقبل عن الف قتيل في بغداد وحدها".

انقلاب 8 شباط 1963 ..

ذاكرة طالب شبيب .. دروس وعبر

حسين عثمان نيركسجاري

أؤكد للقارئ الكريم أني في هذه الأيام الحساسة أدمي الجروح القديمة وأدميها من جديد لا بقصد اثارة عواصف الحقد والثأر؛ بل لكي نتعظ جميعاً من الماضي ونبني تاريخاً جديداً من الحب والتعايش وعدم الغاء الآخرين.

أعرض هنا شهادات رجل كان مؤثراً في أحداث العراق لفترة من الزمن، انه طالب شبيب وزير خارجية حكم البعث في انقلاب (١٤ رمضان – ٨ شباط / ١٩٦٣)، يقول شبيب لمحاوره الدكتور علي كريم سعيد وهو يستعيد المشهد: (قررت أن لا أقول ولا أفعل الا ما أعتقد انه صحيح وحقيقي فلا أكذب مهما كان الثمن والتبعات)، يقول عنه الدبلوماسي (مشتاق طالب): (عندما قابلته وجدته أحسن بعثي سلوكاً وأرفعهم أدباً وأكرمهم خلقاً)، كما مدحه عبدالناصر في رسالة نشرها هيكل في كتاب (سنوات الغليان).

لقد أغنى وأتحف الدكتور (علي كريم سعيد) متن الكتاب بهوامش قيمة من المعلومات، ووثق الكتاب بأحداث عايشها أو استقاها من ثقاة عاشوا تلك الفترة، كما وقام في ثنايا العرض باكمال مواضيع مهمة نساها شبيب أو لم يكن على علم بها.

لا أخفي القارئ الكريم إني حينما حدث انقلاب ٨ شباط كنت عاملاً في صفوف احد الأحزاب العاملة على الساحة الكردستانية، والآن عندما استحضر مجريات تلك الأيام الرهيبة وأجواءها تتحقق لديّ ان الأيديولوجيات الشمولية في تلك الأيام كانت تضغط علينا وتطالبنا بأن نرى مقطعاً واحداً من الصورة كما وتلح علينا بل تغوينا أن نرفع الصورة الى مستوى المقدس، وبذلك هيمنت على أذهان الوطنيين (قوميين وشيوعيين) روح الثأر والتصفية، فتلك الروح اللعينة أسكرتنا وأنستنا مدنيتنا العريقة والصداقة والقرابة والتراحم (وكما يقول طالب شبيب)، وحقت علينا آية القرآن الكريم (كل حزب بما لديهم فرحون).

ان فترة ٨ شباط أحلك فترة من تاريخ العراق السياسي المعاصر، وان الخط البياني للتطور منذ ذلك التأريخ يهبط باستمرار الى الحضيض بل وصل في ٩/ نيسان/ ٢٠٠٣ الى مستويات سحيقة ولأسفل السافلين.

لكي أساهم في هذه الأيام المصيرية من تاريخ العراق بجهد متواضع أعرض الكتاب باقتضاب لكي نتعظ جميعاً وبخاصة المرشحون لمناصب سياسية في سلطة العراق المستقبلية، ان الكتاب لجدير بالقراءة المتفحصة وخاصة من لدن السياسيين والأكاديميين حينما يقيّمون ويؤرخون تلك الفترة العصيبة من تأريخ العراق المعاصر.

يقر شبيب بأن المفهوم العام للبعث عن الكرد هو انهم قومية نازحة الى الارض العربية لتحل ضيفاً، ثم يعترف فيقول: لم تكن الحقيقة كذلك فالأكراد قومية أصيلة في وجودها في العراق عاشت قبل العثمانيين بفترة طويلة جداً بل قبل بعض الهجرات العربية الى العراق، فهناك إذاً مسؤولية عربية في الجهل.....

رغم أن تأريخ العراق مليء بالعنف الدموي وكما يقول الدكتور باقر ياسين، الا أنني وبحكم سجيتي مبهور بالتفاؤل المشوب بالسذاجة أحياناً، إذ أرى ان الانسان العراقي بحكم امتداداته الحضارية العريقة وجغرافيته الوسطية بين حضارات وأديان عريقة أخرى وبسبب ثرواته الطائلة وأطماع الطامعين بسبب كل ذلك وعوامل أخرى بات العنف سمة لحكامه ومن ثم التداعيات لأحزابه وأفراده، فالعنف ليس قدراً أبدياً للشعب العراقي.

الشهيد سلام عادل ابرز ضحايا مجزرة شباط

محاولات لاغتيال عبدالكريم قاسم

كان التيار القومي في العراق وبعد ثورة ١٤ تموز عبارة عن حزب البعث العربي الاشتراكي والناصريين وجماعات أخرى من المدنيين والعسكريين، وكان التيار القومي بصورة عامة يرى في مصر وجمال عبدالناصر مرجعية سياسية وفكرية له.

كانت حكومة قاسم الأولى تضم ممثلين عن التيار القومي، الا انه ولأسباب كثيرة حصلت القطيعة بين قاسم وجمال عبدالناصر، لان الأخير كان يطالب بالوحدة العربية الفورية، فانعكست تلك القطيعة على التيار القومي في العراق، وبدأ عبدالناصر بتمويل كل المشاريع المضادة لحكم قاسم حيث قدمت مصر أسلحة ومحطة اذاعة سرية عبر سوريا من بداية عام ١٩٥٩ لعبدالوهاب الشواف ووصل بعض من تلك الأسلحة لحزب البعث.

جرت خمس محاولات اغتيال لعبدالكريم قاسم وخطط حزب البعث لجميع تلك المحاولات، وبعلم من الشخصيات القومية الاخرى الا انها ولأسباب مختلفة توقفت، وتأتي مشاريع الاغتيال من قبل عبدالستار عبداللطيف وصالح مهدي عماش ومن المكتب العسكري. المحاولة الأخيرة كانت في (رأس القرية) على شارع الرشيد، وافقت القيادة القطرية عليها، وحين التصويت اعترض عليها طالب شبيب ومدحت ابراهيم جمعة. يؤكد شبيب على ان نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة ومحمد صديق شنشل أحد الوزراء كانا مطلعين على الخطة، كان جمال عبدالناصر ايضا على علم بالخطة ولكن لا يعرف بالموعد.

تسلم حزب البعث من مصر (٢٠) عشرين ألف دينار أو جنيه لتمويل وادامة أنشطة الحزب وأعمال التحضير لعملية الاغتيال. بعد فشل محاولة الاغتيال ألقي القبض على أكثرية فريق التنفيذ، وبعد مدة عفا قاسم عن فريق التنفيذ ووقف تنفيذ الإعدام، الا ان البعثيين اعتبروا ذلك ضعفاً وبدأوا باستثمار تلك الفرصة الى أبعد الحدود.

التحضير لانقلاب
8 شباط / 1963

بعد فشل الاغتيال فكر البعثيون وكثير من التيار القومي في العراق بالانقلاب والسيطرة على الحكم بالقوة، وعلى مدى سنتين بذلت جهود مكثفة لنقل ضباط الدروع البعثيين الى وحدات خاصة للتهيئة والتحضير للانقلاب. أثناء التحضير للانقلاب جاء الى قيادة البعث محمد صديق شنشل (وهو وزير سابق في الحكومة) كوسيط وقال: اقترح قاسم ان يعين في وزارة جديدة ثلاثة من الوزراء البعثيين، فأجابت قيادة البعث ان الاقتراح جاء نتيجة ضغط إضراب الطلبة فرفض الاقتراح، وأثناء التحضير للانقلاب حاولت أيضاً مصر التطبيع مع قاسم تحت شعار التضامن العربي فرفض البعث هذا الاقتراح. (إذا لم يكن للموت بد

فمن العار أن تكون جباناً)

اقتيد عبدالكريم قاسم ومعه طه الشيخ أحمد والمهداوي وكنعان خليل حداد الى احدى غرف الاذاعة وانهالت عليهم الشتائم واللكمات، كان الكل يتكلمون ويشتمون في آن واحد ومتوترين، كان الجميع يحثون على الاسراع في إعدامهم.

لم يرد قاسم على أكثر أسئلتهم بل كان يطالب باستمرار بمحاكمته وكما هو قام بمحاكمتهم، كان قاسم رغم انه متأكد من قتله الا انه لم يتصرف كمتخاذل، اما طه الشيخ أحمد فتصرف هو الآخر بذهول واندهاش وربما كان أحسن الأربعة حالاً، كان المهداوي رابط الجأش رغم الاعتداء عليه ونزيفه الغزير.

رفض الرجال الأربعة ان تعصب أعينهم عندما أعلمناهم بقرار الاعدام، خرج القادة البعثيون من الغرفة وبقي الرماة وتم الرمي، وعلم شبيب من الرماة فور خروجهم ان قاسم هتف بشيء لم يميزوه، لكن الوحيد الذي ميزوه هو ما قاله المهداوي الذي هتف بصوت عال: (عاش الشعب). لم تكن هناك محاكمة وكل حديث عن وجود محاكمة انما هو ضرب من التخيل، بل المحكمة تشكلت على الورق بعد اعدامهم ورأسها عبدالغني الراوي وكان التشكيل على الورق لاخراج أمر اعدامهم قانونياً.

وبعد كل ذلك كتب كثيرون عن مقتل عبدالكريم قاسم وسيرة سلطته تحت سقف سلطة معادية لنظامه فخاضوا في تفاصيل ليس لها وجود، وأضاف بعضهم مشاهد درامية، وبلغت الجرأة ببعضهم مثل محمود شيت خطاب الذي لم يكن موجوداً في مشهد الحوار الأخير أن يدعي أنه شاهد عيان. ويقول شبيب: وقد تأكدتُ بعد تنقيب وبحث أن جميع الذين كتبوا الحد الآن عن مشهد محاكمة قاسم وجماعته لم يكونوا حاضرين في ذلك المشهد، وأستطيع أن أؤكد أن الكتاب في هذه القضية كانوا حتى فترة قصيرة شهود اتهام متميزين عدا (حسن العلوي) من العراقيين ونسبياً (حنا بطاطو) من خارجهم.

حزب مولع بالسرية

طرح شبيب مرة على مجلس قيادة الثورة خروج الحزب للعلن فعارض الجميع عدا حازم جواد، ثم يقول شبيب: كان العراق يحكمه مجلس قيادة وهو مؤسسة سرية، ويوجه مجلس قيادة الثورة حزب أعضاؤه غير معلنين ويقودون حزباً سرياً، يطالب البعض من مجلس قيادة الثورة بسنّ قوانين سرية خاصة، ولم يبق سوى أن ننصب خيمة نغطي به العراق كله ونعتبره بلداً سرياً بكل معالمه!!.

تداعيات أمام الجلادين

حينما يترقب قاسم خروج الطلقات من فوهات البنادق الموجهة الى صدره ربما عاد الى أيام زمان يوماً كان قد فاجأ تلاميذه بالكلية العسكرية وكان بينهم: عبدالسلام عارف والبكر وعبدالرحمن عارف وطاهر يحيى والمهداوي وغيرهم فاجأهم بحديث ولغة غير معهودة داخل الجيش حيث حدثهم عن الوطنية والاستعمار البريطاني ووعدهم بيوم الخلاص.

لابد أن نذكّر أيضاً معارك كردستان ثم حرب فلسطين وتحريره لقلعة (كيشر والبيارات)، أو عند مخالفته للقيادة العسكرية العربية عندما خطط سراً لفك الحصار عن الجيش المصري المحاصر في (الفالوجة). لابد أن نذكّر إنقاذه لبغداد من الفيضان عام ١٩٥٤، أو تأسيسه لحركة الضباط الاحرار التي وصل عدد أعضائها الى (٢٠٠) ضابط، أو تذكر قيادته لثورة تموز ومشاريعه في خدمة الفقراء، وايصال الكهرباء للريف وبناء المساكن الشعبية والمعامل و.....

هكذا تكلم شبيب عن عبدالكريم قاسم

كان وطنياً وراعياً لمصالح الفقراء، ولم تكن مشاريعه تهدف الى الدعاية وانما آمن بها ونفذها باندفاع وحماس، لكنه كان دكتاتوراً فردياً، أساء الى جميع الأحزاب، كان عليه أن يفسح المجال لجميع الأحزاب بالعمل، وان يستفتي الشعب على دستور دائم ولانتخابات ديمقراطية، والجميع واثق من انه سيفوز برئاسة الجمهورية، وفي كل الأحوال فقد كان قاسم لا يستحق المصير الذي آل اليه.

وأخيراً فقد كان من الصعب علينا وصف قاسم بأوصاف تدينه غير الفردية، كان عفيف اليد، وكانت عيناه شبعا نتين فلم يطمع وهو حاكم العراق الوحيد ببستان أو قطعة أرض، في حين سعى كل حكام العراق الذين سبقوه والذين خلفوه للكسب والاستيلاء وسرقة المال العام، خصوصاً كتلة صدام وخيرالله طلفاح والحيتان من أنجالهم وأصدقاء أنجالهم.

ويضيف شبيب: سن قانون رقم (٨٠) وبموجبه أمّم ٩٩,٥٪ من الأراضي النفطية، وسلّم مصر جميع الوثائق السرية في الخارجية العراقية والتي تخص مصر وسوريا والعائدة إلى العهد الملكي وحلف بغداد، تأسست في عهده منظمة أوبك، وأسس صناعة الصلب والاسمنت، لم ينتفع ولم يسمح لغيره أن ينتفع بصورة غير شرعية، ولم يخض حروباً بالنيابة وغير ذلك كثير وكثير مما يؤكد ان خصومه لم يعترضوا عليه الا بسبب الصراع على توزيع المراكز في السلطة، فاستعانوا بجهات اقليمية ودولية لها مصالح في العراق لاسقاطه.

محكمة الشعب والمهداوي

يروي طالب شبيب عن المهداوي وبعيداً عن الضغط المألوف الذي يُعاقب حتى الموت من ينصفه ويقول ان المهداوي اشترك في حركة رشيد عالي الكيلاني وأسره الانكليز في الحبانية.

التحق بحركة الضباط الاحرار بقيادة قاسم الذي أسسها في نهاية الاربعينيات على أرض فلسطين، تمكن المهداوي مع رفاقه صباح ١٤ تموز / ١٩٥٨ من تنفيذ واحدة من أهم وأخطر أجزاء خطة الثورة بالسيطرة على اللواء الأول (لواء الأمن) ومهمته حماية بغداد من أي تمرد قد يحدث ضد حكومة نوري سعيد الآتية بعدها.

في ١٨ تموز عين رئيساً لمحكمة الشعب، تلك المحكمة ظلت حتى هذه اللحظة تتحدى كل السلطات التالية في أن تقيم مثلها أو أفضل أو أكثر حرية منها، بدلاً من العلنية الساخرة للمهداوي نشأت بعده المحاكم السرية والقتل السرّي والتعذيب حتى الموت وتهديد الشرف وبصورة تتجاوز وتفوق ما سمع به الانسان منذ تأسيس حضاراته الأولى ولحد الآن!!.

ان قاعة الشعب التابعة لمحكمة الشعب تحولت بعد سقوط قاسم الى مسلخ بشري قتل فيها خلال شهر واحد أضعاف ما حكمت به محكمة المهداوي خلال (٤,٥) سنة من عمر حكومة قاسم، في حين – ويا للأسف – ان بعض السياسيين مازالوا يحصرون الاستبداد والدكتاتورية بعهد قاسم ومحكمة المهداوي دون غيرهما!!.

المهداوي في وزارة الدفاع

يشهد كل الشهود في رسائل ومذكرات منشورة داخل وخارج العراق ان المهداوي وقف في ٨ شباط داخل وزارة الدفاع ضد الاستسلام، وبأنه عندما اتصل به ممثلو الحزب الديمقراطي الكردستاني في بغداد طالبين اليه مرافقتهم الى كردستان للخلاص بنفسه وبعائلته، قال لزوجته لن أهرب ولن يقول أحد عني جبان.

الحرس القومي

تمكن الحرس القومي بسرعة من ابتلاع جميع منظمات حزب البعث المحلية وأخذ دورها، لم تمض اسابيع على ٨ شباط حتى صار الحرس القومي في بغداد جيشاً يضاهي عدده جميع القوات العسكرية في معسكرات العاصمة. تحول الحرس القومي من حماية الأمن الى ازعاج الناس والتدخل في شؤونهم وشؤون الادارة والحكومة، وأصبحت لا يمكن ضبطها، وتمارس أعمالاً سيئة في المدن العراقية، ومن الطريف أن الحرس القومي يقوم دون أسباب ودون أوامر بمضايقة وتفتيش ضباط الجيش وقادته وأعضاء السلك الدبلوماسي.

ثم يعرض شبيب أعمالاً اجرامية كثيرة في المدن العراقية وخاصة في بغداد قامت بها مؤسسة الحرس القومي، ومن الطريف ان عبدالسلام عارف بعد ان قام بالانقلاب على البعث في عام ١٩٦٤ أصدر كتاباً خاصاً وبعدة أجزاء عن أعمال الحرس القومي في العراق وسمى الكتاب (المنحرفون).

مذبحة بحق قيادة الحزب الشيوعي العراقي

يذكر طالب شبيب أخباراً عن حوارات دارت بين أعضاء قياديين من البعث مع قيادات الحزب الشيوعي المعتقلين، الا أنه يقول: ما قيمة الحوار الذي دار اذ كان الأمر قد انتهى بموت هؤلاء، فقد أبلغنا ان قادة الحزب الشيوعي قد ماتوا.

يقول شبيب: (فغطينا نحن مع الأسف ذلك بقرارات رسمية، اذ قال تقرير الطبيب الشرعي وهو بعثي اسمه (..... علوش) بانهم ماتوا بالسكتة القلبية لانهم ظلوا حتى الصباح معلقين وأرجلهم مرتفعة وذلك يؤدي بعد فترة الى السكتة القلبية).

ويوضح الدكتور علي كريم في هامش صفحة ٢٠٠ تلك الأحداث معتمداً على وثائق وشهادات للبعثيين أنفسهم في الخارج، وعن ذلك الطبيب البعثي يقول: ان صادق حميد علوش معروف بين أقرانه بالتزلف للأقوياء ويعتقد زملاؤه أنه تسبب في مقتل خلفه وزير الصحة السابق الدكتور رياض حسين، أصبح بين سنوات (١٩٧٥ – ١٩٧٩) رئيساً لمدينة الطب وكان في سنة ١٩٩٨ عضواً لفرع حزب البعث. ثم يذكر الدكتور بالتفصيل كيفية تعذيب وقتل الشيوعيين: محمد صالح العبلي، حمزة سلمان الجبوري، جمال الحيدري وابن زوجته (من زوج سابق لها) فاضل (عمره ١٤ سنة)، توفيق منير، متي الشيخ ومهدي حميد وسلام عادل ونافع يونس وغيرهم.

بعد فشل الاغتيال فكر البعثيون وكثير من التيار القومي في العراق بالانقلاب والسيطرة على الحكم بالقوة، وعلى مدى سنتين بذلت جهود مكثفة لنقل ضباط الدروع البعثيين الى وحدات خاصة للتهيئة والتحضير للانقلاب. أثناء التحضير للانقلاب جاء الى قيادة البعث محمد صديق شنشل (وهو وزير سابق في الحكومة) كوسيط

القضية الكردية / 1963

يقر طالب شبيب بصعوبة فهم أو تفهم موقف التيار القومي والبعث بشكل خاص من القضية الكردية، فالمفهوم العام للبعث عن الكرد هو : انهم قومية نازحة الى الأرض العربية جاءت لتحل ضيفاً على العرب في بلادهم.

ثم يعترف شبيب فيقول: لم تكن الحقيقة كذلك ولم يكن الأكراد كالأرمن والأتراك وغيرهم من الجماعات التي اضطرت نتيجة الصراعات والحروب وبسبب الاضطهاد العثماني القومي والمذهبي الى النزوح والعيش في العراق، فالكرد قومية أصيلة في وجودها في العراق، وعاشت قبل العثمانيين بفترة طويلة جداً بل قبل بعض الهجرات العربية الى العراق، فهناك إذاً مسؤولية عربية في الجهل.

لقد نصح المرحوم جمال عبدالناصر البعثيين بضرورة التعامل مع الكرد وقادته وخاصة مع المرحوم مصطفى البارزاني وجلال الطالباني ومدحهم بانهم أذكياء متوقدو الذهن وغير معقدين من العرب والعروبيين.

لقد اتصل علي صالح السعدي قبيل الانقلاب لأول مرة رسمياً بـ (صالح اليوسفي) حيث وعد البارتي بانه سيكون أول المؤيدين للكرد اذا ما تمكن البعث من اسقاط عبدالكريم قاسم.

أجرى حزب البعث مفاوضات مع قيادة الحركة الكردية ووعد باقرار (اللامركزية) للمنطقة الكردية، الا ان البعث اراد ان يكون ذلك المكسب خاوياً هزيلاً بدون روح، يأتي شبيب بحجج كثيرة لاثبات ان القيادة الكردية أصرّت على تحقيق مطالب تعجيزية، وبذلك اتجهت الأحداث الى التعقد وشل الجهود الخيرة والى استئناف القتال.

يعترف شبيب ان البعث لم يستفد من نصيحة عبدالناصر والقيادة القومية والبعثيين في الأقطار العربية، ويرجح شبيب ان هناك ألغاماً بشرية (كردية وعربية) دفعت بالأمور الى الاصطدام، كانت للمصالح الاقليمية والدولية والاعلام الشيوعي والسوفيتي دور واضح في استئناف الحرب مع الكرد.

ويُستشف من أقوال الشبيب ان دوائر استخباراتية وألغاماً بشرية (من دول الاقليم) وفي صفوف حزب البعث دفعت الأحداث نحو الحرب إذ يقول:

(ومازلت كلما راجعت نفسي أشعر بان قرار بدء العمليات الحربية كان مبيّتاً وأشك بسلوك صالح مهدي عماش – وزير الدفاع – رغم تصويته معنا ضد بدء العمليات).

وفي موضع آخر من الكتاب يقول ان جميع القيادات العسكرية كانت راغبة ومصممة على الحرب وتعتقد تلك القيادات ان النصر النهائي قابل للتحقيق، وكان عبدالسلام عارف من أشد المتحمسين للحرب والقضاء على الحركة الكردية والشيوعيين.

يأتي شبيب بحجة قوية لتوضيح شكوك كانت تراوده حول قيادات عسكرية فيقول: ان عماش قبل حضور اجتماع القيادة والتصويت على الحرب بدأ بالاتصالات مع الملحقين العسكريين لايران وتركيا ثم طلب من شبيب كوزير للخارجية تبليغ سفيري البلدين رسمياً باستئناف العمليات الحربية!!.

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً!!

بعد استئناف القتال مع الحركة الكردية تباطأ السوفيت في تسليم صفقات الأسلحة، واتصل عماش بصورة شخصية بالمرحوم جمال عبدالناصر طالباً عشرات الآلاف من قطع الأسلحة وتم تجهيز البعث بكل ما طلبه.

وعندما كان شبيب منفياً في القاهرة زار السيد شوكت عقراوي عام ١٩٦٤، وأفصح شبيب عن تلك الصفقات الى السيد العقراوي، وفي لقاء العقراوي بعبدالناصر عاتب العقراوي مصر وأظهره بمنطق مزدوج، وعندما علم عبدالناصر ان شبيب باح بذلك السر عاتب سفير العراق لدى مصر (رجب عبدالحميد) قائلاً: لم أكن أتصور ان طالب سيكشف مثل هذا الأمر!!.

مجزرة زعيم صديق في السليمانية

يرى شبيب ويؤكد ان الصراعات المنتظمة في العراق تأتي غالباً من الداخل، أو هي داخلية متداخلة مع عوامل اقليمية (عربية وغير عربية)، واذا كان للدول الكبرى تدخلات فتتم عن طريق دول مجاورة، وكان بعض من قادة البعث يعتقدون انها حرب على شكل لعبة دولية.

يرى شبيب ان الحرب مع الكرد أصبحت مصدر رزق وارتزاق لقادة الجيش وشيوخ العشائر الكردية المتعاونين مع السلطة (الجحوش) وكذلك بعض من العشائر العربية. فكانت الحرب مصدراً للنهب ومرتعاً للحرامية، وبعض الضباط يقتلون ويسرقون الدولة ويشعلون الحرائق تحت شعارات قومية ووطنية سامية. يعترف شبيب بانه رغم علمه والقيادات المدنية بعد سنتين بمجزرة (زعيم صديق) في السليمانية (٩ حزيران ١٩٦٣) لكن ذلك لا يعفي تلك القيادات من المسؤولية والمحاسبة.

ثم يمضي شبيب ويقول: قتال عبدالكريم قاسم ضد الكرد كان ضربات ذات طابع تأديبي ليس أكثر، الا ان قتال البعث وعبدالعزيز العقيلي في عهد عبدالسلام عارف مع الكرد كان شديداً ذا طابع شرس وبمفاهيم عنصرية.

أرادوها دولة جاسوسة

عندما كان عماش وزيراً للدفاع، له اتصال رسمي مع ممثل رسمي للمخابرات المركزية (CIA) وبعلم القيادة، بعد مدة بحجة انشغاله بالاعداد للحرب مع الحركة الكردية كلف (جميل صبري البياتي) مدير الأمن العام حضور اللقاء الدوري بـ (CIA) نيابة عنه، أوعز عماش الى جميل صبري ان يطالب أمريكا بتزويد العراق بـ (٤٠) بطارية كبيرة خاصة بالدبابات لأن السوفيت رفضوا تزويد العراق بها في حين كان العراق بأشد الحاجة اليها في حربه مع الأكراد.

وافق المسؤول الأمني الأمريكي (بيل ليكلاند) على شحن البطاريات بصورة سرية واستجابة لرغبة (صبري وعماش) وبعيداً عن علم شبيب كوزير للخارجية، لكن مسؤول الـ (CIA – ليكلاند) طلب مقابل ذلك الحصول على دبابة (T٦٢) السوفيتية لمعرفة أسرارها، في حين لم يحصل بلد خارج حلف وارشو على تلك الدبابة غير العراق، بطائرة نقل أمريكية وصلت البطاريات وأدخلت فوراً في الخدمة، بعدها بدأ (ليكلاند) يضغط على (جميل) لتنفيذ الشق الثاني من الصفقة وهو تسليم الدبابة الروسية لأمريكا.

آنذاك أدرك صبري انه متورط، فعرضت القضية على مجلس قيادة الثورة، فانزعج شبيب لأن الصفقة أبرمت بدون علم وزارة الخارجية وفي أمر خطير كهذا، ثم طلب شبيب من سفير أمريكا طرد ممثل (CIA) من العراق، ووجه تأنيبا شديدا الى عماش، إذ لو تمت الصفقة لأصبحت دولة العراق جاسوسة ودمرت أهم مقومات الدولة العراقية.

لم تطالب أمريكا بقيمة الصفقة لأنها لم تكن رسمية ربما ولتجنب الفضيحة من وسائل الاعلام، وهنا تثار شكوك وريبة حول عماش، إذ كيف تسنى لعماش الحضور في مناسبات دبلوماسية رفيعة اذا لم يثق به (ليكلاند) وله معرفة سابقة به وتفاصيل كثيرة أخرى. يقول شبيب عن عماش: ارتكب عماش أخطاء ورعونات كثيرة وكبيرة، ولم يفعل شيئاً مفيداً ولم يأت بأحد إلا وكان جباناً أو مشبوهاً، واجتمعت فيه خصال التردد والغموض والقسوة!!.

فضائح تزكم الأنوف

يضيف الدكتور علي كريم في هامش الكتاب فضيحتين أخريين، أحداهما في عام ١٩٨٤ حيث تم استدعاء خبراء فرنسيين للاطلاع على الطائرة السوفيتية مقابل بيعهم طائرات ميراج، فجاء الخبراء وأنجزوا مهمتهم، ومثل الجانب العراقي اللواء (هاشم عطا عجاج).

الفضيحة الثانية كانت في عام ١٩٨٨، تم الاتفاق بين الصين والعراق على ارسال احدى الطائرات العراقية المتطورة (الروسية) الى الصين من اجل تحوير الشفرة الفنية وأجهزة الرادار والاطلاع على اسرارها، ومثل العراق في تلك الصفقة عميد الجو الركن (حامد السعودي)، في حين تنص الاتفاقية المبرمة مع السوفيت على وجوب التزام الطرف العراقي بعدم اطلاع الدول الأخرى على أسرار الطائرة وبروتوكولها، أرسلت الطائرة وهي تحمل علما أردنيا!!.

يعترف طالب شبيب بوجود علاقات مشبوهة وغامضة، وان بعض المداخلات المشبوهة كانت تحصل بالقرب من القيادة عام ١٩٦٣ وما بعدها وما حولها، على سبيل المثال: العلاقة الودية بين (علي عبدالسلام) ودارت حوله قصص وصفقات مشبوهة، وعلامات استفهام كثيرة حول عماش ورشيد مصلح وناصر الحاني ولطفي العبيدي.

وبعد عام ١٩٦٨ في عهد (البكر – صدام) قتل علي عبدالسلام في سياق تصفية الحسابات وسد ثغرات الفضائح ووجدت جثته مقطعة، وجرت تصفيات واغتيالات كثيرة داخل وخارج العراق للغرض نفسه.

تلتقي عائلة مؤسس الجمهورية العراقية

أعدموا الزعيم صائماً وبقيت عائلته تبحث عن ملجأ

ابو مهند الأمين

في الذكرى السابعة والاربعين لاستشهاد مؤسس الجمهورية العراقية المرحوم عبد الكريم قاسم التقت (المدى) عائلة الشهيد لتسجل استذكاراتها عن الاوقات العصيبة التي مرت عليها في ذلك اليوم المشؤوم في ٨ شباط عام ١٩٦٣ وكان اول المتحدثين عبد الله حامد قاسم ابن شقيق الشهيد قائلا:

في صبيحة ذلك اليوم ٨ شباط الاسود كنا نسكن في كرادة مريم وكنت حينها في المرحلة المتوسطة وقد سمعت العائلة خبر الانقلاب من الراديو وحينها اتصل الوالد المرحوم حامد قاسم بالزعيم مستوضحا فطمأنه الزعيم لكن والدي قرر ان يرسل اخواتي الى الاقرباء تحسباً من أي طارئ وبقيت والدتي المرحومة ام عدنان ورفضت المغادرة وكذلك اخي الكبير عدنان واخي طالب وبعد فترة قرر الوالد الذهاب الى بيت عمتي الصغرى زوجة اللواء عبد الجبار جواد، وبعد ذلك اقتحم الحرس القومي البيت واخذوا يطلقون النار في كل ارجاء البيت وتدمير كل ما يريدون تدميره وسرقة ما تطوله ايديهم واخذوا سيارة العائلة واعتقلوا اخي عدنان واخي طالب، وبعد مدة علمنا ان والدي المرحوم حامد قاسم قد اعتقل ايضاً مع زوج عمتي اللواء عبد الجبار جواد فقد أخذتهما قوات النظام المباد من بيت عمتي في العلوية واعتقلا في سجن رقم واحد.

وتستذكر **السيدة خولة محمد صالح** ابنة شقيقة الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم انقلاب (٨) شباط الاسود قائلة: "عند سماعنا باخبار المؤامرة قالت لنا والدتي المرحومة الحاجة امينة: هيا بنا نذهب الى بيت خالتكم ام رعد زوجة اللواء عبد الجبار جواد في العلوية لنتابع من هناك مجتمعين احداث اليوم الرهيب وفعلاً ذهبنا الى بيت خالتي وتمكنت والدتي من الاتصال بالزعيم هاتفيا بعد الافطار اذ كان الزعيم صائماً رمضان وسألته عما يفعل فرد: "لقد افطرت قبل قليل على جرعة ماء وانني الان اقرأ بعض سور القرآن الكريم وارجوكم اطمئنوا ولا تقلقوا وتعاونوا في ما بينكم ولا تتفرقوا وانني احمد الله على انني حاولت مخلصاً إرضاءه وخدمة شعبنا العزيز ونصرة الفقراء والمظلومين، وان ضميري مرتاح ولم تفاجئني هذه المؤامرة لان اعداء العراق لا يريدون له الخير وتوقعت ان يحركوا اذنابهم الصغار من مطايا الاستعمار لتدمير منجزات ثورة ١٤ تموز المجيدة وانني مؤمن بأن الآجال مكتوبة وانني لا اهاب الموت فاذا كتب الله لي ان اموت فانا فداء للعراق العظيم".

واضافت: ثم توالت الساعات الرهيبة واعدم خالي الزعيم صائماً مع اخوانه الشهداء من دون محاكمة والقيت جثته في النهر من دون اخبار احد. وتختتم السيدة خولة (ام هديل) حديثها قائلة: رغم كل مصيبتنا باستشهاد خالي الزعيم الا ان العراقيين احاطونا حباً واحتراماً كبيرين فأينما نذهب واينما نحلّ وحالما يعرفون قرابتنا من الزعيم نستشعر بفخر مكانة خالنا الشهيد في نفوس الناس وهذا ما يعوضنا عن كل شيء.

وما يجدر ذكره ان خالي الزعيم رفض اعطاء والداتي (امينة) وهي شقيقته الكبرى داراً من الدولة رغم عدم امتلاكنا لدار في ذلك الوقت وقد كتب على طلبها الاصولي: "اصبري اختي امينة فكل العراقيات اخواتي ولا يزال في العراق من هو افقر منك" اقول رغم انه حرمنا من امتلاك دار الا انه وهبنا ما هو اكبر واثمن وهو حب العراقيين واحترامهم وتقديرهم". لعائلة الشهيد عبد الكريم قاسم.

أما **مؤيد محمد صالح** ابن شقيقة الشهيد عبد الكريم قاسم فقد قال عن انقلاب ٨ شباط الاسود:

صباح يوم ٨ شباط تلقينا النبأ عن طريق الاذاعة وكنا في بيتنا الكائن في منطقة تل محمد حين سمعنا باب الدار يطرق علينا واذا الملازم الاول عبد الكريم عبد الجبار وكان صديقاً لنا ويسكن محله كمب سارة وقال ان هناك مؤامرة ضد الجمهورية ففتحنا المذياع واذا بصوت حازم جواد والذي كان يسكن الى جانبنا في محلة المهدية مسقط رأسنا وقد عرفناه من نبرة صوته المميز وإثر ذلك تركنا البيت الى بيت خالتنا في محلة العلوية خوفاً من بطش العصابات في تل محمد وبعد ذلك سمعنا ان بيتنا قد سرق بجميع محتوياته من قبل الحرس القومي واستولوا عليه بالكامل وقد التقينا جميعاً في بيت خالتي وهو بيت اللواء عبد الجبار جواد ابن عمة والدتي اما اخي طارق الملازم الطيار آنذاك فقد ذهب الى معسكر الرشيد في القاعدة الجوية في بغداد وذهب معه الملازم الاول عبد الكريم عبد الجبار ومعه عدد من الطيارين الوطنيين الموالين للجمهورية والزعيم.

وحدثت مناوشات ومقابلات مسلحة مع من سيطروا على القاعدة الجوية انتهت بانسحاب شقيقي الشهيد طارق وجماعته والتحاقه بنا في دار خالتي شقيقة الزعيم الصغرى ومن هناك التحق الى بيت الزعيم في العلوية وقد ذهبت معه فرأيت الزعيم وطه الشيخ احمد والمرافقين وعدداً من الضباط بعد ذلك قرر خالي الشهيد عبد الكريم قاسم الذهاب الى وزارة الدفاع وقد سار موكبه باتجاه الباب الشرقي.

وهنا قال لي الشهيد طارق اذهب الى البيت وكن شجاعاً وكل من اراد دخول البيت إرمه بسلاحك وحافظ على شرف العائلة لإننا نعرف هؤلاء السفلة وبعد ان سار موكب الزعيم حاولت اللحاق بهم ووصلت الى ساحة الطيران وكانت الجماهير الغفيرة تهتف للزعيم واشار شقيقي طارق إلي بالرجوع الى البيت لحماية العائلة هناك وقد فارقتهم في ساحة الطيران وعندما وصلت البيت رأيت مجموعة من المواطنين المسلحين يهتفون بأسم الزعيم ماكو زعيم الا كريم وقد رحبوا بي وعندما دخلت البيت وجدت زوج خالتي اللواء عبد الجبار جواد قائد الفرقة الخامسة وكان مريضاً بمرض القلب ونائماً على الفراش بحالة سيئة جداً وكانت والدتي تجري اتصالاتها مع الزعيم في وزارة الدفاع.

وكان يبدو من خلال المحادثة ان الامور سيئة والموقف بدأ يميل الى الانقلابيين وكان الشهيد الزعيم يطمئن والدتي ويقول لها لا تخافوا ان الله معكم وسوف يعاقب الله سبحان وتعالى هذه الطغمة الشريرة وقائد قوى الشر ناكر الجميل عبد السلام عارف فنحن مع شعبنا وخدمناه بكل امانة واخلاص وسوف يذكرنا التأريخ فهو الفيصل والحكم. بعد ذلك جرت عدة مكالمات مع الشهيد من خالتي وكانت كلها تصب في الموقف وكان الشهيد الزعيم يوصي الاسرة بضبط النفس وركز على حماية العرض وذكر الله. لقد كانت تلك الاوقات من احرج الظروف ولابد لي ان اذكر ان الشهيد الزعيم كان وهو طفل حسب قول والدتي انه كان يقوم بصيام رمضان. وفي آخر مكالمة ليلة ١٤ رمضان سألته والدتي هل افطرت فقال لها نعم على الماء فقط انا لله وان اليه راجعون بعد ذلك قطع الاتصال عن الهاتف الى ان سمعنا خبر الاعدام والمحكمة الصورية بالاذاعة اود هنا ان اذكر ان الزعيم رحمه الله وهذه امانة تأريخية انه من خلال المكالمات التي اجريت مع والدتي كان محافظاً على توازنه ولم يأبه بكل شيء حتى ان والدتي قالت لي انني سمعت الزعيم وهو يوجه اخوانه الذين قاتلوا معه عندما كان يكلمني بضرورة قتال الخونة الذين استغلوا رحمة الزعيم بهم وعطفه عليهم واولهم خائن القرآن الكريم وناكر جميل الزعيم الشخص الذي بذر او بذور الطائفية عبد السلام عارف هذه حقيقة اسردها للتاريخ والحقيقة ولشعبنا المظلوم الذي ابتلي بعد ذلك بحكام عبارة عن عصابة من السراق وشذاذ الافاق وشعبنا يعلم ماذا الم به بعد ذلك لمدة ٤٠ عاماً من الفوضى والقتل والتشريد ومحاولة طمس المكتسبات الوطنية الخالدة للشهيد الزعيم الخالد عبد الكريم قاسم رحمه الله.

اعود الى مصير العائلة جاءت عصابة من الحرس القومي واقتادت زوج خالتي اللواء عبد الجبار جواد من فراش المرض واعتدوا عليه ثم خالي الحاج حامد قاسم واعتدوا عليه ايضاً اما العائلة فقد ابلغونا بمغادرة البيت او قتل كل من فيه فتوزعنا على اصدقائنا من المخلصين فذهبت عائلتي الى الكرادة الشرقية في بيت الحاج اسماعيل الجدعه وقاموا بايوائنا متحدين كل المخاطر التي قد يلجأ اليها التتر الجدد.

اما انا فكنت طالباً في ثانوية الثقافة الاهلية في السنك وقد واظبت على الدوام ورحب بي اصدقائي بحذر الى ان تم توقيفي من الاتحاد الوطني ثم ارسلت الى مقر الحرس القومي في نفس دارنا. وهناك تم ضربي واهانة كرامتي من آمر القطاع، وقال لقد قتلنا اخاك الطيار طارق محمد صالح ثم اخذوني الى معتقل في نادي النهضة في الكرادة الشرقية وهناك رأيت عدداً كبيراً من المعتقلين،

عبد الله حامد قاسم: بعد يوم (8) شباط الاسود اقتحم الحرس القومي بيتنا و اخذوا يطلقون النار وسرقوا ما تطوله أيديهم

عائلة عبد الكريم قاسم

وفاتني ان اذكر انني عندما رأيت داري وسيارة اخي يستخدمها هؤلاء المرتزقة دمعت عيني بعد ان رايت ان محتويات دارنا كلها قد سرقت من قبل الحرس القومي وقد تشتتنا ولم نسلم حتى على ملابسنا واكثر ما يحزنني انني رأيت عدداً من الحرس القومي يذهبون الى الثلاجة الخاصة بنا ويجلبون الطعام ويأكلون امامي.

بقيت عائلتنا في الكرادة الشرقية ثم اخذني الحرس القومي الى معتقل السدة الشرقية القريب من ملعب الشعب، أما شقيقي الاكبر صبحي فقد اخذوه الى سجن رقم واحد وبالرغم من كل ذلك بقيت والحمد لله هاماتنا عالية ولم نتنازل او نتخاذل الى يومنا هذا حتى انني عندما كنت اذهب مع الحرس لاداء امتحانات الدراسة الاعدادية البكالوريا كانت السلاسل في يدي وبعد الحاح مدير القاعة الامتحانية بفك الاصفاد عن يدي وحدثت مشادة كلامية بينه وبين الحرس حول ذلك وأود ان اذكر ان طوال هذه السنين لم ينصفنا أي مسؤول في الدولة سوى انه في فترة السبعينيات أرسل احمد حسن البكر بعد ان امتد به العمر طارق حمد العبد الله للاستفسار عن حالنا الا ان والدتي رفضت مقابلته وقالت له: الله ينتقم من كل ظالم.

هذا جزء يسير مما اختزنه من الذكريات المريرة التي عشناها بعد استشهاد الزعيم الخالد الذي كان يوصينا بعدم استغلال قرابتنا له على حساب الشعب كذلك يعرف شعبنا من هو الزعيم ذلك الرجل الذي ضحى بكل شيء في سبيل شعبه ونحن بدورنا نشكر جريدة المدى الغراء على اظهار الحقيقة وانني وان فقدت خالي الزعيم الخالد وشقيقي الشهيد طارق فاننا نقول اننا ما زلنا نتذكر ايامنا وقائدنا وقيمنا ونفتخر بالوسام الخالد امام شعبنا وامام الله والتاريخ لاغلى واعلى وسام في عائلتنا جميعاً هو الزعيم الخالد عبد الكريم قاسم. واننا نناشد المسؤولين وكل الاطراف السير بمنهج الزعيم ونبذ التفرقة والطائفية بين ابناء شعبنا وضرورة تلاحم كل الخيرين لبناء العراق ونصرة البلد الجريح ومؤازرة حكومة الوحدة الوطنية للوصول بالبلد الى بر الامان وخروج المحتل من ارضنا المقدسة والله ولي التوفيق.

وجاء دور **رعد عبد الجبار** ابن شقيقة الزعيم الشهيد حيث قال: في بداية العطلة الربيعية في شباط ١٩٦٣ تلقى والدي المرحوم اللواء عبد الجبار جواد قائد الفرقة الخامسة انذاك دعوة من صديقه آمر موقع البصرة المرحوم الزعيم عبد القادر لقضاء العطلة في البصرة وفعلاً سافرنا الى البصرة وقضينا اوقاتاً جميلة ولكن لسوء حالة والدي الصحية إذ كان يعاني منذ سنوات أزمات قلبية حادة رجعنا الى بغداد ومكث والدي في البيت على ان يدخل المستشفى العسكري يوم الجمعة ٨ شباط للعلاج وقد حدث ما حدث في ذلك الصباح وكنت في غرفة والدي عندما اتصل بوزارة الدفاع ظهر ذلك اليوم وتحدث مع المرحوم الزعيم عبد الكريم قاسم.

واتذكر قسماً من الحديث حيث قال والدي للزعيم "كريم لا تحصر نفسك في وزارة الدفاع" ثم اتصل بآمر اللواء ٢٥ طالباً منه التأهب لتلقي الاوامر من القيادة ثم بعد ذلك انقطعت الخطوط الهاتفية. وتحسباً لأسوأ الامور طلب والدي نقلي مع اخويّ طلال وسعد الى بيت احد الاصدقاء الاوفياء في منطقة السعدون وفعلاً ذهبنا ومعنا اختي مها الى ذلك البيت واستقبلتنا العائلة بكل ترحاب ومكثنا هناك مدة تقارب الشهر وانقطعت اخبار عائلتي عدا قدوم بعض الاصدقاء الذين كانوا على اتصال بوالدتي المرحومة الحجية نجية بين فترة واخرى وقد علمت منهم بان الحرس القومي قد دهم بيتنا في منطقة العلوية واخذ والدي الى سجن رقم واحد ورغم ان بيتنا كان متواضعاً في اثاثه لم يسلم من اعتداء الحرس القومي حيث نهبت المكتبة التي كانت تحتوي على كثير من الكتب القيمة وكذلك بعض قطع السلاح منها ما يعود الى عمي المرحوم العقيد الطيار محمد علي جواد ومنها ما يعود الى جدي المرحوم جواد افندي الضابط السابق في الجيش العثماني بعد اعتقال والدي مباشرة.

لقد استطاعت والدتي رغم كونها وحيدة في ذلك الوقت بمساعدة الاصدقاء المخلصين ان تؤجر بيتاً في الكرادة الشرقية وتنقل بسرعة اثاث البيت الى السكن الجديد. وفي يوم السبت ٩ شباط ١٩٦٣ سمعنا الاخبار بتنفيذ حكم الاعدام بالزعيم عبد الكريم قاسم ومجموعة من رفاقه ثم عرض الفيلم في تلفزيون بغداد كان مشهداً مؤلماً هزني من الاعماق وبالرغم من مفارقته الحياة وآثار الرصاص والدماء بادية على وجهه فقد كان وجه خالي الزعيم مشرقاً مبتسماً. بعد لم شمل العائلة علمت من والدتي بانها مع خالتي ام عدنان زوجة خالي حامد اتصلتا بآية الله العظمى السيد محسن الحكيم رحمه الله للطلب من عبد السلام عارف تسليم جثمان الزعيم الى العائلة لدفنه، لكن عبد السلام رفض الطلب وقد استغربت ذلك: فهل هذه هي اخلاق من يدعون بانهم ثوار؟ هل كان ذلك حقداً على الزعيم او خوفاً من جثمان الرجل الذي اعتبر رمزاً للوطنية الصادقة؟! الرجل الذي احبه فقراء العراق حباً مخلصاً لا تملقاً ولا طمعاً بمكرمة او هدية او هبة كما هو حال بقية الحكام العرب.

ورغم كل محاولات اعداء هذه الشخصية العظيمة لطمس الحقائق ومحو ذكراه واعماله العظيمة فقد بقي الزعيم حياً في قلوب جميع العراقيين من الذين عاصروه وابنائهم من الاجيال التي شهدت تعسف واستهتار الحكام الذين جاءوا بعده اقول هذا ليس تحيزا للزعيم كونه خالي ولكن هذا هو الواقع الذي لمسته طوال الفترة من ١٩٦٣ بعد سقوط النظام حيث اقر بوطنيته حتى اعداؤه الذين عملوا ضده نادمين على فعلتهم معترفين بانه لو عملت القوى السياسية في ذلك الوقت مع عبد الكريم قاسم ولم تتأثر بالمؤثرات الاجنبية عربية كانت ام اجنبية لما تحقق هدف الاعداء في ان يكون العراق بلداً ضعيفاً لا حول له ولا قوة تنهب ثرواته ويقتل ابناؤه من دون رحمة.

ولا بد لي ان اذكر باعتزاز التفاتة رئيس الجمهورية جلال طالباني بتخصيص راتب شهري لعائلة الشهيد عبد الكريم قاسم. وكان آخر المتحدثين من عائلة الشهيد عبد الكريم قاسم **طلال عبد الجبار حسين** ابن شقيقة الشهيد حيث قال: كلما اقترب يوم ٨ شباط ١٩٦٣ تعود الى كل العراقيين الوطنيين ذكريات حزينة مؤلمة ليس لفقدان الزعيم عبد الكريم قاسم فحسب وانما لفقدان خيرة الوطنيين المخلصين الى وطنهم وخيرة الكفاءات الرائدة في عملها في خدمة الوطن وقد تغيبت آمال الفقراء والمحتاجين لحياة اجتماعية ملؤها الكرامة والطمأنينة.

العائلة عانت من هذا اليوم وتستذكره جيداً وسوف اضيف الى ما ذكره اخي الكبير وكذلك ابن خالي عبد الله وابن خالتي مؤيد وشقيقي رعد هو ان الوالد كان مريضاً بالقلب وملازماً الفراش وقد اتصل بالزعيم يخبره بأنه يروم الالتحاق بفرقته ولكن الزعيم رفض ذلك واتذكر أيضاً بان ابن خالتي الشهيد الملازم الطيار طارق محمد صالح رحمه الله جاء الى البيت وسلم على الوالد والوالدة واخبرنا بانه ذاهب الى وزارة الدفاع وقد قبّل افراد العائلة جميعاً لانه يعرف بأنه لن يراهم وهذا ما حدث لان الحرس القومي بعدها اخذوه الى النادي الاولمبي واعدموه مع من اعدم من الابطال الوطنيين لقد اخبرنا الوالد والوالدة بأن نغادر البيت ونذهب الى بيت اصدقاء الوالد المرحوم غالب عزيز وبعدها الى بيت المرحوم احمد البياع ولم نرَ الاهل الا بعد مرور مدة طويلة وعلمنا بان الوالد واغلب العائلة قد تم توقيفهم في سجن رقم واحد.

انني إذ استذكر الفعل الشائن والجبان لزمرة الانقلاب الاسود في ٨ شباط عام ١٩٦٣ بحق مؤسس الجمهورية العراقية الشهيد عبد الكريم قاسم لا بد لي ان اذكر بفخر واعتزاز موقف حكومتنا الشرعية التي جاءت عن طريق الانتخابات الديمقراطية تجاه صدام الذي اساء لشعبه ايما اساءة. فبالرغم من الاهانات التي وجهها الى القاضي والادعاء العام والشعب العراقي الا ان محاكمته كانت نزيهة وقد امتدت لاشهر. وبعد ان نال جزاءه العادل وهو الاعدام أقدمت حكومتنا الوطنية على اعطاء جثته الى عشيرته التي قامت بدورها بدفنها في مسقط رأس في مراسيم غاية في الاحترام حتى ان شيخ العشيرة تعجب من تصرف الحكومة شاكرا لها حسن صنيعها.

فشتان بين تصرف حكومتنا حاليا مع جثة صدام وتصرف الانقلابيين آنذاك مع الشهيد عبد الكريم قاسم سواء في محاكمته الصورية ام في التعامل مع جثته الطاهرة، إذ لا تعرف عائلته حتى الان مكانها وانها في الوقت الذي تستذكر ذلك بألم فانها تطالب الحكومة الوطنية بان تقوم بواجبها لمعرفة المكان الذي دفنت فيه جثة الزعيم الشهيد (رحمه الله) وهذا ليس مطلب عائلة الشهيد الكريمة حسب، انما هو مطلب الملايين من العراقيين النجباء الذين يكنون كل الحب والاعتزاز والتقدير لزعيمهم الفذ عبد الكريم قاسم. لقد اجتمعت في شخص الشهيد كل الصفات والخصال البشرية الحميدة، فقد كان (رحمه الله) فذا في الشجاعة والعطاء والنزاهة كما كان فذا في التواضع والزهد وايقامة العدل وكان فذا (رحمه الله) في الفصاحة والشهامة والمروءة والنخوة والاصالة والنقاء،

بل حتى في الاناقة لذلك احبه الشعب العراقي حبا جما لا يعدله حب وقد عبروا عن ذلك الحب بحمل سياراته فوق الرؤوس اينما حل باحياء بغداد انذاك، لقد كان وجهه مشرقا وضاء والبسمة بادية على محياه دائماً حتى بعد استشهاده!.

مؤيد محمد صالح: في يوم الانقلاب كانت الجماهير تحيي خالي الزعيم عبد الكريم وتهتف باسمه في اثناء توجهه الى وزارة الدفاع

(وثيقة تأريخية):

آخر خطاب للزعيم عبد الكريم قاسم

محمود البياتي

في مجلة " الهدف " (العدد ٥٢٩) لسان حال الجبهة الشعبية لتحرر فلسطين، وكنت مراسلها من براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا، نشرتُ في ١٤ آذار ١٩٨١، تحت عنوان " وثيقة تاريخية "، آخر خطاب للزعيم عبد الكريم قاسم، الذي قُتل سنة ١٩٦٣، في انقلاب خططت له اميركا وبريطانيا، ونفذه حزب البعث العربي الأشتراكي- قطر العراق. مُنع هذا العدد من دخول سوريا كما ابلغني لاحقاً رئيس التحرير الصديق بسام ابو شريف.

هذه هي مقدمة الخطاب عند نشره في مجلة " الهدف ": فيما يلي تنشر " الهدف " وثيقة تاريخية عمرها ١٨ سنة، لم يطلع عليها بعد شعبنا في العراق والوطن العربي... انها النص الحرفي لخطاب سجله عبد الكريم قاسم بصوته في مقره بوزارة الدفاع واستولى عليه الانقلابيون قبل اذاعته صبيحة الثامن من شباط الاسود.

ملاحظة: سنضع ثلاث نقاط متتالية بين قوسين (...) بدلا من كل كلمة غير مفهومة وردت في خطاب قاسم، وسنضع علامة اشارة الى اصوات القصف المدفعي وغارات سلاح الطيران على وزارة الدفاع والمسموعة بوضوح في التسجيل. يبدأ قاسم الخطاب بحدة وعصبية:

× شغل الاستاذ عبد الستار الدوري، سفير العراق السابق والمنضم حاليا للمعارضة منصب مدير الاذاعة في انقلاب ١٩٦٣، ولا شك انه مطلع على تفاصيل كثيرة تتعلق خصوصاً بمحاكمة عبد الكريم قاسم الصورية، مع رئيس محكمة الشعب فاضل المهداوي، في الاذاعة التي تحولت الى مقر لقادة الانقلاب، فضلا عن معرفته بهوية الضابط الذي حمل كاسيت خطاب قاسم او سلمه طوعا الى المتامرين كما يؤكد البعض.

" بيان من الزعيم عبد الكريم قاسم الى ابناء الشعب الكرام والى ابناء الجيش المظفر... ان اذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والمستبدين الذين يحركهم الاستعمار لتحطيم جمهوريتنا... الذين يحاربوننا بحركات طائشة للنيل من جمهوريتنا ولتحطيم كيانها ان الجمهورية العراقية الخالدة وليدة ثورة ١٤ تموز الخالدة لا تقهر... وانها تسحق الاستعمار، وتسحق كل عميل خائن انما نحن نعمل في سبيل الشعب وفي سبيل الفقراء بصورة خاصة وتقوية كيان البلاد فنحن لا نقهر، وان الله معنا. ابناء الجيش المظفر، والقطعات والوحدات والكتائب والافراد، ايها الجنود الغيارى، مزقوا الخونة اقتلوهم، اسحقوهم، انهم يتآمرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب ثورتنا، هذه الثورة التي حطمت الاستعمار وانطلقت في طريق الحرية والنصر، وانما النصر من عند الله وان الله معنا... كونوا اشداء، اسحقوا الخونة والظالمين... هاجموهم في كل منعطف، وفي كل زاوية... انهم خونة... انهم اذناب الاستعمار... والله ينصرنا على الاستعمار وعلى اذنابه واعوانه ".

(بعد فترة وجيزة يتوقف في خلالها التسجيل نسمع دوي القصف المدفعي مرة اخرى ثم يستانف الزعيم خطابه بنبرة اهدا لكنها تحتد تدريجيا):

" السلام عليكم ابناء الجيش... ايها الضباط ايها الجنود، ايها الضباط الصف الاشاوس، ايها العمال الغيارى... ان الاستعمار يحاول ان يسخر نفراً من اذنابه للقضاء على جمهوريتنا (...) بتصميمنا وبتصميم الشعب المظفر... فاننا نحن، جنود، وشعب ١٤ تموز الخالد الذي وجه الضربات الخاطفة الى العهد المباد رغم (...) (...)، رغم الاستعمار، وحرر امتنا واسترد لها كرامتها... فان هذا اليوم المجيد (...) لسحق الخونة والغادرين... ابناء الشعب، ابناء الجيش المظفر. ان النصر امامنا واننا صممنا على سحق الاستعمار واعوانه فلا (...) الى الخونة والغادرين، فان الله معكم، وسوف (...) الظالمون والغادرون والسفاكون واذناب الاستعمار سوف (...) عندما توجه لهم الضربات الخاطفة، وقد باشرنا بتوجيهها اليهم... والله ينصركم وينصر جمهوريتنا... ابناء الجيش الغيارى، ايها الجنود ايها الضباط اسحقوا الخونة والغادرين الذين تامروا على جمهوريتنا، اسحقوهم مزقوهم... انا الزعيم عبد الكريم قاسم (...) واننا اقوى، وامضى، واشد عزما وكفاحا في سبيل الفقراء والنصر للشعب العراقي المظفر والنصر لكم ايها الغيارى ".

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي : يونس الخطيب